Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Higher Education
Jazan University
Faculty of Education Arts Departments - Jazan





أدب النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع زوجاته

دراسة حديثيه موضوعيه

بحث مقدم من :
د. زكريه بنت أحمد محمد غلفان زكري
أستاذ الحديث وعلومه المساعد بقسم الدراسات الإسلامية – كليه التربية جامعة جازان

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى المَبعُوثِ رَحْمَةً لِلعالَمين ، المُتَمِّمِ لِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ، والمَشْهُودِ له بالأُسْوَةِ الحَسَنَةِ ، والخُلُقِ العَظِيْمِ ، وَعَلَى آله وصَحْبِهِ أَجمعين ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ... أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ مكانةَ المَرْأَةِ في الإسلامِ تختلفُ عن جميعِ الحَضَارَاتِ السَّابِقَةِ ، فَلَقَدْ رفعَ الإسلامُ مِنْ شأنِ المرأةِ، وأكرمَها حتَّى لو كانت جاريةً ، وأقرَّ لها حقوقًا وواجباتٍ ، وجعل لها الحُرِّيَّةَ التَّامَّةَ في اختيارِ شريكِ حياتِها ؛ دون إجبارٍ أو إكراهٍ ، وينظرُ الإسلامُ للزَّواجِ على أنَّه سُنَّةٌ فِطريَّةٌ ، وعلاقَةٌ ساميةٌ ؛ يظهرُ فيها إعجازُ الخالقِ سُبحانَهُ وَتَعَالَى ، كما قال جلَّ وعلا" **وَ مِنْ ءَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَجاً لِّتَسكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكم مَّوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فى ذَلِك لاَيَت لِّقَوْم يَتَفَكَّرُونَ**" (١)

فالزَّواجُ في الإسلامِ عقدٌ به يبدأُ الزَّوجانِ رحلةَ الحياةِ مُتحابَيْنِ مُتعاونَيْنِ مُتآلفَيْنِ مُتسامَحين ، يسكنُ كُلٌّ منهما إلى الأخر ؛ فيجدُ في صُحْبَتِهِ السَّكينةَ والأُنْسَ والأمنَ والطُّمأنينةَ ، وَلَذَّةَ العَيْشِ ، وقد صوَّرَ القُرآنُ الكريمُ . كما في الآية السَّابقة . هذه العَلاقةِ الشَّرعيَّةِ السَّاميةِ بين الرَّجُلِ والمَرْأَةِ فِي ظِلِّ الزَّوجيَّةِ تصويراً، يشيعُ فيه ندى المَحبَّةِ والأُلفةِ والثِّقةِ ، والتَّفاهُمِ والرَّحمةِ ، والودِّ والسعادةِ والبهجةِ ، والنَّعيمِ. إنَّ أساس العلاقة الزوجيَّةِ الصُّحبةُ والاقترانُ القائمان على الوُدِّ والأُنسِ والتَّآلُفِ. وهي علاقةٌ عميقةُ الجُذورِ، بعيدةُ الآمادِ. إنَّها أشبهُ ما تكون صلةً للمرْءِ بنفسه ، بيَّنها كتاب رَبُّنا بقوله **{ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ }** (٢) ، وأكملَ من قدرِ العلاقةِ الزوجيَّة وأعطاها حقوقها وأدَّى واجباتِّها ، وأحسن غايةَ الحُسْنِ هو نبيُّنا محمد ﷺ ، فقد كان ﷺ أخًا ناصحًا ، وأبًا مُشفقًا ، وزوجًا حانيًا ، ومُعلمًا مربيًا ، وهو مع هذا كلِّه قائدٌ للبشريَّة أجمع ، ومدبِّرٌ للأمة ، وقد جمع ﷺ جوانب العَظَمَةِ في شخصيته ، ولم يغلبْ جانبًا على آخر، فلقد كان عظيمًا في نفسه ، عظيمًا في بيته ، عظيمًا مع أصحابه .

ولقد مُلئتْ كُتُبُ السِّيرةِ بأخلاقِهِ وآدَابِهِ ، حتَّى كان ﷺ أنموذجًا يَحتذي به المسلمون عبر تعاقب القُرون والأجيال، وذلك لِمَا حَبَاهُ الله تعالى من كريمِ الصِّفاتِ وعظيمِ الأخلاقِ ، ومن ضِمْنِ هذه الأحوال ما كان عليه النبيُّ ﷺ من مُعاملتِهِ ومُعاشرته لأزواجه وأهلِ بيته ، وإنَّ المُتأمِّلَ لتلك الأحوال ليقفُ أمامها موقفَ الإعجابِ والإجلالِ والتَّقديرِ ، لذلكم النبيِّ الكريمِ ؛ عليه من ربِّه أفضلُ الصَّلاةِ وأتمِّ التَّسليمِ ، فهو الذي حَقَّقَ تلك الشخصيةِ الفَذَّةِ مع جمعه بين تسعٍ من الزَّوجاتِ في آنٍ واحدٍ ، ولهذا السَّببِ أحببتُ أنْ أُسلِّطَ الضّوءَ على جوانب من حياته في بيته ؛ لِنقفَ منها موقف المُقتدي ، فهديهُ أكملُ هديٍ ، وأتمُّه وأعدلُه ، فكان موضوع بحثي: « **أدبُ النَّبيِّ ﷺ في تعامله مع زوجاته، دراسةٌ حديثيَّةٌ موضوعيَّةٌ** » .

<u>* أهمية الموضوع :</u>

بلا شَكَّ أنَّ هذا الموضوع من أهمِّ الموضوعات التي تُطرحُ في هذا الوقت لأسبابٍ عديدةٍ ، منها :

١. إبرازُ عَظَمَةِ شخصيَّةِ النَّبيِّ ﷺ في بيته والذَّبُّ عن عِرْضِهِ .

٢. حاجةُ المُجتمعِ لِقُدوةٍ عُليا في التَّعامل الأُسري .

---

(١) سورة الروم ، الآية (٢١) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٨٧) .

٣. تنبيهُ الأزواج إلى آداب التَّعامُلِ مع النِّساءِ وبيانُ حُقوقِهِنَّ .
٤. قِلَّةُ البُحوثِ والدِّراساتِ الحديثيةِ التي تخدم هذا المجال .

وقد قسَّمتُ البحث إلى **مبحثين** :

- المبحث الأول : **(في ذِكْرِ البَيْتِ النَّبَوِيِّ)** ، وفيه مَطلبان :

المطلبُ الأولُ : خُلُقُ النبيِّ ﷺ وكمال أدبه .

المطلبُ الثانيُ : ذكر زوجاته بترجمةٍ مُختصرةٍ .

- المبحث الثاني : **(جوانبُ أدبِ النبيِّ ﷺ في تعامله مع زوجاته)** ، وفيه إحدى عشر مطلبًا :

المطلب الأول : الرِّفقُ بالمرأة واستجلابُ مودَّتِهَا .

المطلب الثاني : مُراعاة المشاعر .

المطلب الثالث : التَّبسُّطُ مع الأهل وخدمتهم .

المطلب الرابع : التَّرويحُ عن الأهل .

المطلب الخامس : مُسامرتُهُ أزواجه باللَّيل .

المطلب السادس : الاستشارة وتقدير الرَّأي .

المطلب السابع : الحكمة في مُعالجة المشاكل الزوجيَّةِ .

المطلب الثامن : وعظُ الزَّوجة ومُناصحتها .

المطلب التاسع : تعاهد الأهل بالتَّعليم والتَّوجيهِ .

المطلب العاشر : العَدْلُ في القسم والنَّفقةِ .

المطلب الحادي عشر : رعاية حَقِّ الزَّوجةِ في الحياة وبعد الممات .

ثم **الخاتمة** ، ويليها فهرس المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

*****

المبحث الأول : في ذكر البيت النبوي

المطلب الأول : خلق النبي ﷺ وكمال أدبه :

*** أخلاقه ﷺ في القرآن والسنة :**

كان رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله بالرسالة العظمى في الذروة العليا من الأخلاق الحسنة ؛ صدقًا ، وأمانة ، وكرمًا ، وحلمًا ، وشجاعة ، وعفة ، وقناعة ، وغير ذلك من الصفات التي يحظى بالإجلال والإكبار مَنْ حصل على واحدة منها ، فضلاً عمَّن جُمعت له وتوفَّرت فيه. ولمَّا بعثه الله سبحانه بالنور والهدى إلى الثقلين الجن والإنس، زاده الله قوة في هذه الخصال الحميدة إلى قوته، حتى بلغ الحد الأعلى الذي يمكن أن يصل إليه إنسان ، فصدق رسول الله ﷺ حيث قال: « **إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ** » [(١)].

فقد تفضل الله تعالى على خليله محمد ﷺ بتوفيقه للاتِّصاف بمكارم الأخلاق ، وذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، ثم أثنى عليه ونوَّه بذكر ما يتحلَّى به من جميل الصفات في آيات كثيرة من كتاب الله العزيز، أقتصرُ على إيراد بعضها ، من ذلك قوله تعالى: **وإنك لعلى خلق عظيم** [(٢)] ، فقد أخبر سبحانه في هذه الآية الكريمة عمَّا كان عليه المصطفى من أخلاق فاضلة ، ووصف خُلقه ﷺ بأنه عظيم ، وأكد ذلك بثلاثة أشياء؛ بالإقسام عليه بالقلم وما يسطرون، وتصديره بأن ، وإدخال اللام على الخبر، وكلها من أدوات تأكيد الكلام.

وفي الصحيحين وغيرهما، عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت عن خُلقه ﷺ فقالت:«**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**»[(٣)]، ومعنى ذلك أن امتثال ما أمره الله به واجتناب ما نهاه عنه في القرآن، وصار له خُلقًا وسجيه.

وقد نوَّه سبحانه بما جبل نبيه عليه ﷺ من الرحمة والرأفة بالمؤمنين ، والحرص على ما ينفعهم في دينهم وأخراهم ، والتألم من كل ما يشق عليهم بقوله سبحانه ممتنًا على المؤمنين بإرساله: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٤). فقد نشأ ﷺ مُتحلِّيًا بكل خلق كريم، مُبتعداً عن كل وصف ذميم، فهو أعلم الناس، وأفصحهم لساناً،وأقواهم بياناً، وأكثرهم حياءً، يُضرب به المثل في الأمانة والصدق والعفاف ، أدَّبه الله فأحسن تأديبه، فكان أرجح الناس عقلاً، وأكثرهم أدباً، وأوفرهم حلماً، وأكملهم قوة وشجاعة وشفقة، وأكرمهم نفساً، وأعلاهم منزلة .

وبالجملة كلّ خلق محمود يليق بالإنسان فله ﷺ منه القسط الأكبر، والحظ الأوفر، وكل وصف مذموم فهو أسلم الناس منه، وأبعدهم عنه، شهد له بذلك القاصي والدَّاني، والعدو والصديق .

*** صور ونماذج مُشرِّقةٌ من أخلاقه ﷺ في ضوء السنة :**

*** تَوَاضُعُهُ :**

كان النبي ﷺ يرقّع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويأكل مع العبد، ويجلس على الأرض، ولا يمنعه الحياء أن يحمل حاجته من السوق إلى أهله، ويصافح الغني والفقير، ولا ينزع يده من يد أحد حتى ينزعها هو، ويُسلِّم على مَنْ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/٣٨١/ح:٨٩٣٩) ، والحاكم في مستدركه (٢/٦٧٠/ح:٤٢٢١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/١٩٢/ح:٢٠٥٧٢) .

(٢) سورة القلم ، الآية (٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب : جامع صلاة الليل (١/٥١٣/ح:٧٤٥) ، وأبو داود في سننه ، كتاب الصلاة، باب : صلاة الليل (٢/٤٠/ح:١٣٤٢) ، والإمام أحمد في مسنده (٦/٩١/ح:٢٤٦٤٥) .

(٤) سورة التوبة ، الآية (١٢٨) .

استقبله مِنْ غنيٍّ وفقيرٍ وكبيرٍ وصغيرٍ، ولا يحقر ما دُعي إليه ولو إلى حشف التمر، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق متقاربين. يتفاضلون عنده بالتقوى.(١)

روى البخاري في صحيحه من حديث الأسود ، قال : سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ ؟ قَالَتْ : **كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ** (٢). وعن أنس ﷺ قال : كانت ناقة رسول الله ﷺ لا تُسبَق أو لا تكاد تُسبَق ، فجاء أعرابيٌّ على قعودٍ له . أي : جمل . فسبقها ، فشقَّ ذلك على المسلمين حتى عرفه، فقال الرسول ﷺ:«**حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنْ الدُّنْيَا إِلا وَضَعَهُ**»(٣).

ومع رفعة مقام رسول الله ﷺ فإنَّه حين رأى رجلاً يرتعد منه، وكأنَّما كان يظنه كملوك الأرض، قال له رسول الله ﷺ:«**هَوِّن عليك فإنِّي لستُ بملكٍ، إنَّما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد**»(٤). وإقراره بما كانت عليه أمه من الفقر أو خُشونة العيش ، يزيد من إكباره في نفس سامعه، ولا يضيره شيئًا(٥).

*** صَبْرُهُ :**

عن أبي سعيد بن مالك الخدري . رضي الله عنهما . أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ لهم :« **حين أنفق كل شيء بيده مَا يَكُونُ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(٦) . وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كأنِّي أنظر إلى الرسول ﷺ يحكي : « **نبيًا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون** »(٧).

*** رِفْقُهُ :**

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رسول الله ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، وأَصْحَابُ الرَّسُولِ ﷺ يصيحون به: مَهْ مَهْ." أي: أترك" فَقَالَ رسول الله ﷺ:«**لا تزرِفوه دَعُوهُ**»؛ أي : لا تقطعوا بوله . فَتَرَكُ الصحابة الأعرابي يقضي بوله ، ثُمَّ دَعَاهُ الرسول عليه الصلاة والسلام الأعرابي ، فَقَالَ رسول الله ﷺ للأعرابي :« **إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ ، إِنَّمَا هي لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلاَةِ ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ** ». وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأصحابه:« **إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ ، صُبُّوا عَلَيْهِ دلو مِنْ المَاءِ** ». فقال الأعرابي

---

(١) ينظر : دلائل النبوة ، للأصفهاني (ص٤٣١) ، ودلائل النبوة ، للبيهقي (٢٩٠/١) ، والرحيق المختوم ، للمباركفوري (٢٩٠/١) ، ومختصر تاريخ دمشق ، لابن منظور (١٤٥/١) ، ونهاية الأرب ، للنويري (١٨٤/١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب : كيف يكون الرجل في أهله (٢٢٤٥/٥/ح:٥٦٦٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب : ناقة النبي ﷺ (١٠٥٣/٣/ح:٢٧١٧) .

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الأطعمة ، باب : القديد (١١٠٢/٢/ح:٣٣١٢) ، والحاكم في مستدركه (٥٠/٣/ح:٤٣٦٦) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٥) ينظر : هذه أخلاقنا (ص٣٤٥) .

(٦) مُتَّفَقٌ عليه . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب : الاستعفاف من المسألة (٥٣٤/٢/ح:١٤٠٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب : فضل التعفف والصبر (٧٢٩/٢/ح:١٠٥٣) .

(٧) مُتَّفَقٌ عليه . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) (١٢٨٢/٣/ح:٣٢٩٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب : غزوة أحد (١٤١٧/١/ح:١٧٩٢) .

: اللَّهُمَّ ارحمني وَمُحَمَّدًا ، وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« **لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعًا** » ؛ أي: « **ضيقت واسعًا** »[١].

فلم يكن صلوات الله عليه يقبل من أصحابه أي نوع من الغلظة والجفاء والإحراج . وكان يقول: « **إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ** » .

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ! قالت عائشة: فَقُلْت : بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ ، فَقَالَ رسول الله ﷺ :« **يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ** » قُلْتُ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ:«**قد قُلْتُ: وعَلَيْكُمْ** »[٢]. وعنِ أَبِي قَتَادَةَ الحارث بن ربعى ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« **إِنِّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِي ، فَأَتَجَوَّزُ كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ** »[٣].

وكان الرسول ﷺ أكبر مثل في التعامل باليسر وعدم الأخذ بالشدة ، وهذا ما وصفته به السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها:" ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَين إلا اختَارَ أَيْسَرهُمَا مَا لم يَكُن إثماً، فإذا كَان إثماً كَان أَبْعَد النَّاسِ منه ..." [٤]. وقال عن نفسه صلوات الله وسلامه : « .... **إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا ولا متعنتًا ، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا** »[٥].

*** الشَّجاعةُ :**

كان النبي ﷺ من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يُجهل ، كان أشجع الناس و حضر المواقف الصعبة، وفرَّ عنه الكُماة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح ، ومُقبل لا يُدبر ولا يتزحزح ، ومَنْ يتصدَّى لإمرة الناس وقيادتهم يجب أن يكون قدوة في شجاعته. فقد « **كَانَ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ**»[٦].

ويقول :« لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَّمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلا ، وَلا كَذَّابًا ، وَلا جَبَانًا »[٧]. وفي فوائد الحديث يقول ابن حجر:" وَفِيهِ ذَمُّ الْخِصَال الْمَذْكُورَة ؛ وَهِيَ : الْبُخْل ، وَالْكَذِب ، وَالْجُبْن ، وَأَنَّ إِمَام الْمُسْلِمِينَ لا يَصْلُح أَنْ يَكُون فِيهِ خَصْلَة مِنْهَا"[٨]. والجنود يفخرون بشجاعة قائدهم ، ويزدادون إقدامًا ، لذلك قَالَ الْبَرَاءُ في حديثه حديثه عن يوم حُنين : " كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِى بِهِ ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِى يُحَاذِى بِهِ " [٩] لما كانوا يرون من شجاعة رسول الله ﷺ .

وعن علي بن أبي طالب قال :" إنَّا كُنَّا إذا حمي البأس ، واحمرَّت الحُدق اتَّقينا برسول الله ، فما يكون أحدٌ أقرب إلى العدو منه ، ولَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ "[١٠] .

---

(١) مُتَّفقٌ عليه . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الوضوء ، باب: ترك النبي ﷺ الأعرابي (٨٩/١/ح:٢١٦) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب : وجوب غسل البول (٢٣٦/١/ح:٢٨٤) .

(٢) مُتَّفقٌ عليه . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب : الرفق في الأمر كله (٢٢٤٢/٥/ح:٥٦٧٨) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب : النهي عن ابتداء أهل الكتاب (١٧٦/٤/ح:٢١٦٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب صفة الصلاة ، باب : خروج النساء إلى المساجد (٢٩٦/١/ح:٨٣٠) .

(٤) أخرجه البخاري في الأدب ، باب : ٨٠ ح (٦١٢٦) .

(٥) أخرجه مسلم في الطلاق ، باب : ٤ ح (٢٩) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب ٢٤ ح (٢٨٢٠) .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب ٢٤ ح (٢٨٢١) ، وينظر : هذه أخلاقنا (ص٧٥) .

(٨) فتح الباري (٢٥٤/٦) .

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، ح(٧٩) .

(١٠) رواه الإمام أحمد في مسنده (٨١/٢/ح:٦٥٤) .

وعن أنس ﷺ قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس ، وأشجع الناس ، وأجود الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناسٌ قِبلَ الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا ، قد سبقهم إلى الصوت ؛ وهو على فرس لأبي طلحة عري، والسيف في عنقه ، وهو يقول : « **لم تراعوا لم تراعوا**» [١] .

*** رَحْمَتُهُ :**

مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ فَقَالَ:« **اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا وَكُلُوهَا صَالِحَةً** » [٢]. وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، قال: « كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً . طائر يُشبه العصفور . مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا ، فَجَاءَتْ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ ، فلمَّا جَاءَ رسول الله ﷺ فقال: « **مَنْ فَجَّعَ هذِهِ بِوَلَدِهَا ؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا** » [٣].

*** جُودُهُ وَكَرَمُهُ :**

إنَّ في تأمُّلَ الحياة العملية للرسول القُدوة صلوات الله وسلامه عليه ما يُفجِّرُ معاني الجُود والكرم في قلب المُتتبِّعِ المُحبِّ ، جاء في الحديث :« **كان النبيُّ ﷺ أحسنَ النَّاسِ ، وأَشْجَعَ النَّاسِ** .... " [٤]. وفي رواية : « **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ لأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ** »[٥]. وعَنْ أَنَسٍ ﷺ : أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ : أَى قَوْمِ أَسْلِمُوا فَوَ اللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِى عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ . قَالَ أَنَسٌ : إِنْ كَانَ الرَّجُلُ

لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا [٦].

ومن الصفات المُميزة لمَنْ تأصَّلت فيه خصلة الكرم أنه لا يرد أحدًا يسأله، وقد كان هذا حال رسول الله ﷺ :" ما سُئل عن شيءٍ قط فقال: لا ، حتى حين أُهديت إليه بُردة وكان محتاجًا إليها رآها عليه رجل من الصحابة ، فقال: يا رسول الله ، ما أحسن هذه فاكسنيها . قال : "**نعم**". فلام الصحابة ذلك الرجل قائلين له : "..أخذها مُحتاجًا إليها ثم سألته إيَّاها ، وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئًا فيمنعه ؟ فقال : رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلِّي أكفَّنُ فيها" [٧].

*** اَلْحَيَاءُ:**

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ[٨].

*** الأَمانةُ :** الأمانة صفةٌ مميزةٌ لأصحاب الرسالات ، فقد كان كل منهم يقول لقومه: وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون [٩]. وكانت تلك شهادة أعدائهم فيهم، كما جاء في حوار أبي سفيان وهرقل ، حيث قال هرقل :" سألتُك ماذا

---

(١) مُتَّفقٌ عليه . أخرجه البخاري في صحيحه ، باب : الحمائل (١٠٦٥/٣/ح:٢٧٥١) ، ومسلم في صحيحه ، باب: شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب (١٨٠٢/٤/ح:٢٣٠٧) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، باب : ما يؤمر به من القيام على الدواب (٢٣/٣/ح:٢٥٤٨) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد ، باب : في كراهية حرق العدو (٥٥/٣/ح:٢٦٧٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب ٢٤ ح (٢٨٢٠) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصوم ، باب أجود ما كان النبي في رمضان (٦٧٢/٢/ح:١٨٠٣) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : كان النبي ﷺ أجود الناس (١٨٠٣/٤/ح:٢٣٠٨) .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : ما سئل رسول الله شيئًا قط (١٨٠٦/٤/ح:٢٣١٢) .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب : حسن الخلق والسخاء (٢٢٤٥/٥/ح:٥٦٨٩) .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب : من لم يواجه الناس (٢٢٦٣/٥/ح:٥٧٥٠) ، والإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : كثرة حيائه (١٨٠٩/٤/ح:٢٣٢٠) .

(٩) سورة الشعراء ، الآية (١٠٧) .

يأمركم ؟ فزَعمتَ أنَّه يأمرُ بالصلاة، والصدق والعفاف، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة، قال: وهذه صفةُ نبيٍ[١] ". وفي موضع آخر في صحيح البخاري [٢]: " وسألتك هل يغدر ، فزعمت أن لا ، وكذلك الرسل لا يغدرون " .

*** زُهْدُهُ :**

ثبت في الصَّحيحين[٣] من حديث ابن عبَّاس عن عمر بن الخطاب في حديث إيلاء رسول الله ﷺ من أزواجه ، أن لا يدخل عليهنَّ شهراً ، واعتزل عنهنَّ في علية ، فلمَّا دخل عليه عمر في تلك العلية فإذا ليس فيها سوى صبرة من قرظ ، وأهبة معلقة ، وصبرة من شعير، وإذا هو مضطجع على رمال حصير، قد أثَّر في جنبه ، فهملت عينا عمر فقال: « **ما لك ؟** » فقلت: يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه، وكسرى وقيصر فيما هما فيه. فجلس مُحمراً وجهه فقال:« **أو في شكٍ أنت يا ابن الخطاب ؟**» ثم قال:« **أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدُّنيا** ». وفي رواية لمسلم[٤] : « **أما ترضى أن تكون لهم الدُّنيا ولنا الآخرة ؟** » فقلت : بلى يا رسول الله . قال : « **فاحمد الله** ﷻ » . وكان من دعائه ﷺ:« **اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا**»[٥]؛أي: ما يسدُّ الجوع.وقال عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ" يَلْتَوِي يَوْمَهُ مِنَ الْجُوعِ ، مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ"[٦]. وعن عائشة رضي الله عنها: قالت :" ما ما شبع آل رسول الله ﷺ من خُبز بُرٍّ "[٧] وكان لا يُوقد في بيته النار شهرًا.

اَلْمَطْلَبُ اَلثَّانِي : ذِكْرُ أَزْوَاجِهِ ﷺ

مِنْ المعلُومِ أَنَّ الرَّسوُلِ ـ ﷺ ـ قد جمعَ في عِصمتِهِ أكثرَ من أَرْبَعِ نِسْوَةٍ ، ومات عن تسعٍ ، والتَّزوُّجُ بأكثرَ من أربعةِ نِسْوةٍ حُكمٌ خاصٌّ بالنَّبي ـ ﷺ ـ دون غيره . وقد قال **ابن القيم** :" لا خِلافٌ في ذلك"[٨]، "وقد جاء عَنْ أَنَسٍ بن مالك ؛ " " **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَهُ يومئذٍ تِسْعُ نِسْوَةٍ** "[٩]. وهذا الحديثُ وغيرُهُ يدلُّ على أنَّ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ جمع تحته أكثرَ مِنْ أربعِ نِسوةٍ، وهذا مِمَّا أُبيحَ له بإجماعِ المُسلمين .

وفي هذا يقولُ **ابن حجر** ـ رحمه الله ـ :" وقد اتَّفقَ العُلماءُ على أنَّ مِنْ خَصائِصِهِ ـ ﷺ ـ الزِّيادةُ على أربعِ نِسوةٍ ؛ يجمعُ بينهُنَّ " [١٠]. وقد ذكرَ العُلماءُ قديمًا وحديثًا حِكمًا مُتعدِّدةً في أنْ يكونَ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ هذا العددُ من النِّساءِ؛ منها : المَصالِحُ التَّعليميَّةُ ، والمصالحُ التَّشريعيةُ ، والمصالحُ الاجتماعيَّةُ ، والمصالحُ السياسيةُ ، والمَصَالِحُ الإنسانيَّةُ ، والمَصالحُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، باب :٢٨ ، ح (٢٦٨١) ، وينظر : هذه اخلاقنا (ص٥١٤) .

(٢) في الجهاد ، باب : ١٠٢ ح (٢٩٤١) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب اللباس ، باب : ما كان النبي ﷺ يجوز من اللباس (٢١٩٧/٥/ح:٥٥٠٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الطلاق ، باب : في الإيلاه (١١٠٦/٢/ح:١٤٧٩) .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب : في الإيلاه (١١٠٧/٢/ح:١٤٧٩) .

(٥) مُتفقٌ عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقائق ، باب : كيف كان عيش النبي ﷺ (٢٣٧٢/٥/ح:٦٠٩٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب : في الكفاف والقناعة (٧٣٠/٢/ح:١٠٥٥) .

(٦) رواه مسلم في صحيحه ، باب : ٤٤ ح (٢٤٧٤) .

(٧) مُتفقٌ عليه . أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأطعمة ، باب : ما كان السلف يدخرون (٢٠٦٨/٥/ح:٥١٠٧) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الزهد (٢٢٨٢/٤/ح:٢٩٧٠) .

(٨) زاد المعاد في هدي خير العباد (١١٤/١) .

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب : مَنْ طاف على نسائه في غُسْلٍ واحدٍ (٤٨٥/٦/ح:٥٢١٥).

(١٠) فتح الباري (١١٤/٩) .

التَّربويَّةُ " [١].

وإليك ترجمةٌ مُختصرةٌ لزوجاتِهِ ؛ عليه أفضلُ الصَّلاةِ وأتمُّ التَّسليمِ :

(١) خَدِيْجَةُ بِـنْـتُ خُويلِدٍ « أُمُّ المُؤمِنِـينَ » رَضِيَ اَللَّهُ عَنْـهَا :

هي : **خديجةُ بنت خُويلد بن أَسدِ بن عبد العُزَّى بن قُصيِّ بن كِلاب القُرشيَّةُ الأسديَّةُ** ، كانت قبل المُصطفى عند أبي هالة مالك بن نَبَّاشِ بن زُرارةِ التَّميميِّ ، ثم عَتيقُ بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مَخزُوم .

تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ قبلَ البِعثَةِ بخَمْسَ عشرةَ سنةً ، وهي سيِّدةُ نِساءِ العالمين في زمانها ، وأُمُّ أولاد رسول الله ﷺ ، وأولُ مَنْ آمن به وصدَّقه قبلَ كُلِّ أحدٍ ، ومَناقِبُها جَمَّةٌ ، وهي مِمَّنْ كَمُلَ من النِّساءِ . كانتْ عَاقِلةٌ جليلةٌ ، دَيِّنةٌ مصُونَةٌ كَريمَةٌ، مِنْ أهلِ الجَنَّةِ ، وكانَ النَّبيُّ ﷺ يُثني عليها . تُوفِّيتْ رضي الله عنها قَبْلَ أَنْ تُفرضَ الصَّلاةُ في رمضانَ ، عن خمسٍ وستين سنةً [٢].

(٢) سَـوْدَةُ « أُمُّ المُؤمِنِـينَ » رَضِيَ اَللَّهُ عَنْـهَا :

هي : **سَوْدَةُ بنتُ زمعةَ بن قيسِ بن عبد شمس القُرشيَّةُ العامريَّةُ** ، كانت تحت ابن عمٍّ لها يُقالُ له السَّكرانُ بن عمرو ، أخو سهيل بن عمرو ، أسلم معها . رضي الله عنهما . وهاجرا إلى الحَبَشَةِ في الهِجْرَةِ الثَّانيةِ ، فلمَّا قَدِمَا مَكَّةَ ماتَ زوجُها ، فلمَّا حَلَّتْ خطبَها رسولُ الله ﷺ ؛ بعد العقدِ على عَائِشَةَ ، ودخلَ بها بمَكَّةَ . وكانتْ سيِّدةٌ جليلةٌ نبيلةٌ فاضلةٌ ، وقد انفردتْ بالنَّبيِّ ﷺ نحوًا من ثلاثِ سنين أو أكثر حتَّى دخلَ بعائشةَ ، ولها خمسةُ أحاديثَ ، تُوفِّيتْ . رَضِيَ اللهُ عنها . زمنَ عُمَر ﷺ على الصَّحيح [٣] .

(٣) عَائِشَةُ « أُمُّ المُؤمِنِـينَ » رَضِيَ اَللَّهُ عَنْـهَا :

هي : **عائشةُ بنت أبي بكرٍ الصِّديقِ ، واسمه : عبد الله بن أبى قُحافةَ ، واسمه : عثمان بن عامر بن عُمير بن وهب بن سعيد بن تميم بن مُرَّةَ بن كعب بن لؤي** . وأُمُّها : أُمُّ الرُّمَّان بنت عامر بن عُويمر ، كُنيتُها « **أُمُّ عبد الله** » بابن أُختها عبد الله بن الزبير ، وهي ممَّن وُلِدَ في الإسلام ، وتربَّت في بيت الصِّديقِ ، ذلك البيتُ الذي لم تبلغْ أسرةٌ مَبْلَغَهُ في خدمة دين الله والجهاد في سبيله ، وعقد عليها الرسول ﷺ وهي في مكة بعد وفاة خديجة بثلاثِ سنين على الصَّحيحِ . وكانتْ رضي الله عنها امرأةٌ بيضاءُ وجميلةٌ ، ولَم يتزوَّج النَّبِيُّ ﷺ بكراً غيرها ، ولا أَحَبَّ امرأةً حُبَّها ، ولا أعلمُ في أُمَّة محمد ﷺ . بل ولا في النِّساءِ مُطلقاً . امرأةً أعلمَ منها .

ومناقبُها جَمَّةٌ، كيف وهي التي سلَّم عليها جبريل ﷺ، وكانت خيرُ زوجةٍ تُؤنس زوجها، وتُدخل السُّرورَ على قلبه، وتُزيل عنه ما يُكابدُهُ من متاعب الحياة، وقد اهتمَّت بالتَّلقي عن رسول الله ﷺ؛ فبلغت من العلم والبلاغة ممَّا جعلها خيرَ مُعلِّمةٍ، ومرجعًا في الحديث والسُّنة والفقه، وغيرها من العلوم، ومسندها يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، تُوفِّيت في شهر رمضان من السنة الثامنة والخمسين للهجرة[٤].

(٤) حَفْصَةُ « أُمُّ المُؤمِنِـينَ » رَضِيَ اَللَّهُ عَنْـهَا :

هي: **حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عُدي بن كعب بن لُؤي**. وأمُّها: زينب بنت مظعون، كانت قبل أن يتزوَّجها النبيُّ ﷺ عند خنيس بن حذافة ؛ وكان ممَّن شهد بدرًا،

---

(١) لتوضيح ذلك بالتفصيل ، يُراجع : هدي الرسول ﷺ في تعامله مع زوجاته ، لعفاف النمري (ص٨٦-٩٠) .

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد (١/١٣١) ، والاستيعاب ، لابن عبد البر (٢/٨٦)، وأسد الغابة (١/١٢٣٧)، والإصابة (٧/٦٠٠) . وينظر : روضة الأنوار في سيرة النبي المختار ، لصفي الرحمن المباركفوري (ص١٩) .

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد (٨/٥٢) ، والاستيعاب ، لابن عبد البر (٢/١٠٣) ، وأسد الغابة (١/٧٢٨) ، والإصابة (٧/٧٢٠).

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد (٨/٥٨) ، والاستيعاب ، لابن عبد البر (٢/٧٢) ، وأسد الغابة (١/١٣٨٣) ، والإصابة (٨/١٦) .

ومات بالمدينة. ومن أجلِّ مناقبها: أنَّها هي التي أُختيرت من بين أمهات المؤمنين جميعًا لتحفظ أول مُصحف خطيٍّ للقُرآن الكريم، تُوفيت سنة إحدى وأربعين عام الجماعة (١).

(٥) أُمُّ سَلَمَةَ «أُمُّ المُؤمِنِينَ» رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا :

هي : **هند بنت أبي أُميَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القُرشيَّة المخزوميَّة** . وأمُّها : عاتكةُ بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانيَّة ، كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرِّضاعةِ أبي سلمة ؛ وهو ابن عمِّها . كانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبًا ، وقد كانت من السَّابقين إلى الإسلام ، وهاجرت مع زوجها الأول إلى الحبشة ، ومسندها رضي الله عنها يبلغ ثلاثمائة وثمانية سبعين حديثًا . كانت آخر من مات من أُمَّهاتِ المؤمنين ، عمَّرت حتَّى بلغها مقتل الحسين ﷺ ، وغُشى عليها، وحزنت عليه كثيرًا، لم تلبث بعده إلا يسيرًا، تُوفِّيت في آخر سنة إحدى وستين (٢).

(٦) زَيْنَبُ بِنْتُ خُزيمةَ «أُمُّ المُؤمِنِينَ» رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا :

هي : **زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمر بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلاليَّة**، أمُّ المؤمنين ، كان يُقال لها «**أُمُّ المساكين**» لأنَّها كانت تُطعمهم وتتصدق عليهم ، كانت تحت عبد الله بن جحش ، فاستشهد في أُحُد ، فتزوجها رسول الله ﷺ وكان دخوله بها ﷺ بعد دخوله بحفصة بنت عمر رضي الله عنها ، ثم لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة ، وماتت في ربيع الأول سنة أربع ، وما روت شيئًا (٣).

(٧) زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ «أُمُّ المُؤمِنِينَ» رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا :

هي : **زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعمر بن ضبرة بن مُرَّة بن كثير بن غنم بن دوران بن أسد بن خزيمة** . أمُّها : أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ؛ عمَّةُ رسول الله ﷺ . تزوَّجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث ، وقيل سنة خمس ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ، وكانت مِنْ سادة النساء دينًا وورعًا وجودًا ومعروفًا ، ولزينب أحد عشر حديثًا ، اتَّفق الشيخان على حديثين ، تُوفيت سنة عشرين ، وصلَّى عليها عمر بن الخطاب ﷺ (٤).

(٨) أُمُّ حَبِيْبَةَ «أُمُّ المُؤمِنِينَ» رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا :

هي : **رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية** ، زوجُ النَّبيِّ ﷺ ، وتُكنى أم حبيبة ، وهي بها أشهر من اسمها ، ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عامًا ، تزوجها حليفهم عبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي ، من بني أسد بن خزيمة ، فأسلما ثم هاجر إلى الحبشة ، وتنصَّر زوجها عبيد الله ، ثم فارقها ، ثم تزوَّجها رسول الله ﷺ ، وهي من بنات عمِّ الرسول ﷺ ، ليس في أزواجه من هي أقرب نسبًا منها ، ولا في نسائه من هي أكثر صداقًا منها ، ومُسندها خمسة وستون حديثًا ، ماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين(٥) .

(٩) جُوَيْرِيَةُ «أُمُّ المُؤمِنِينَ» رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا :

هي : **جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارِ بْنِ حبيب بن جذيمة ، وهو الْمُصْطَلِقِ بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو الخزاعية المصطلقية** ، وكان اسمها : بَرَّة ، فغيَّره رسول الله ﷺ إلى جويرية . لمَّا غزا النبي ﷺ بني المصطلق غزوة المريسيع في سنة خمس أو ست وسباهم ؛ وقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس ، فكانت قبل تحت مُسافح بن صفوان المُصطلقي ، فكاتبت على نفسها ، وجاءت تستعين بالنبيِّ ﷺ على كتابتها، فما كان من النبي ﷺ إلا أن قال لها :« **أو خيرٌ من ذلك ، أؤدي عنك كتابتك ، وأتزوجك؟**» فقالت : نعم .

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد (٨١/٨) ، والاستيعاب ، لابن عبد البر (٨٤/٢) ، وأسد الغابة (١٣٣١/١) ، والإصابة (٥٨١/٧).

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢٢٩/٢)، والاستيعاب، لابن عبد البر (١٢٢/٢)، وأسد الغابة (١٤٢٢/١) ، والإصابة (١٥٠/٨).

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١١٥/٨)، والاستيعاب، لابن عبد البر (٩٩/٢)، وأسد الغابة (١٣٥٩/١)، والإصابة (٦٧٢/٧).

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد (٤٢/٣) ، والاستيعاب ، لابن عبد البر (٩٧/٢) ، وأسد الغابة (١٣٥٧/١)، والإصابة (٦٦٧/٧).

(٥) ينظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد (٩٦/٨) ، والاستيعاب ، لابن عبد البر (٩٥/٢) ، وأسد الغابة (١٣٥٢/١)، والإصابة (٦٥١/٧).

ومن مناقبها رضي الله عنها : عظيمُ بركتها على قومها ، فقد أُعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، جاء لها سبعةُ أحاديثَ ، ماتت في ربيع الأول سنة خمسين (١).

(١٠) صَفِيَّةُ « أُمُّ الْمُؤمِنِينَ » رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا :

هي : **صفية بنت حيي بن أخطب بن شعبة بن ثعلبة بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير** ، كان أبوها سيد بني النضير ، تزوَّجت قبل إسلامها سلام بن أبي الحقيق ، ثم كنانة بن أبي الحقيق ، وكانا من شُعراء اليهود ، وقُتل كنانة يوم خيبر ، وسُبيت ، وصارت في سهم دحية الكلبي ، فقيل للنبيِّ ﷺ عنها ، وأنَّها لا ينبغي أن تكون إلا له ﷺ ، فأخذها من دحية وعوَّضه عنها ، وكانت شريفةً عاقلةً ، ذات حَسَبٍ وجمالٍ ودينٍ رضي الله عنها، ومن أعظم مناقبها : أنَّها ابنةُ نبيٍّ ، وعمُّها نبيٌّ ، وكانت تحت خاتم الأنبياء ، ماتت رضي الله عنها سنة خمسين في رمضان (٢).

(١١) مَيْمُوْنَةُ « أُمُّ الْمُؤمِنِينَ » رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا :

وهي : **مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنِ بْنِ بُجَيْرِ بْنِ الْهَزْمِ بْنِ رُوَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ هِلالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بن معاوية بن هوازن** ، وكان اسم ميمونة بَرَّة فسمَّاها رسولُ الله ﷺ ميمونة ، تزوَّجها أولاً مسعود بن عمرو الثَّقفي قُبيل الإسلام ففارقها ، وتزوَّجها أبو رهم بن عبد العُزَّى ، فمات ، فتزوَّج بها النَّبيُّ ﷺ في وقت فراغه من عُمرةِ القضاءِ ، تُوفِّيت رضي الله عنها سنة تسع وأربعين (٣). وبعدُ فهؤلاء هُنَّ زوجاتُ النَّبيِّ ﷺ وأُمَّهاتُ المُؤمنين ، أمَّا السَّراري فلم يكن له ﷺ سوى **مارية بنت شمعون القبطية** أم ولده إبراهيم ، **وريحانة بنت زيد القُرَظيَّة أو النَّضريَّة** .

وممَّا ينبغي أَنْ يُقال ويُعلمَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يتزوَّجْ بِكْرًا قط إلا عائشة رضي الله عنها ، وكان زواجه بها إكرامًا لوالدها الصِّديقِ الذي آزره مُنذُ اللَّحظاتِ الأُولى في دعوته ، وحَمْلِ رِسَالتِهِ .

وبهذا يتبيَّنُ بوضوح أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لم يتزوَّجْ امرأةً من نسائه إلا لأهدافٍ ساميةٍ ، وغاياتٍ شريفةٍ ، لم يسمُ إليها غيرُ الحبيبِ محمدٍ ﷺ ، فقد تزوَّجَ خديجة رضي الله عنها بعد رغبتها في الزَّواجِ منه ؛ لِتكونَ قاعدةَ دعوتِهِ ، وأمينةَ سِرِّهِ ، ومأوَى نفسِهِ عند اشتداد الخوفِ به .

وتزوَّج أُمَّ حَبيبةَ ، وأُمَّ سَلَمَةَ ، وسَوَدَةَ ، ومَيْمُوْنَةَ ، وزينبَ أُمَّ المساكين ، وهُنَّ أراملُ ؛ إيواءً لهن لمَّا فقدنْ أزواجهُنَّ ، ولِما أصابهُنَّ من عذابٍ واضطهاد في ذات الله تعالى .

وزوَّجه رَبُّه تبارك وتعالى زينبَ بنت جحش ، وهو كارهٌ لذلك ، خاشٍ مِنْ أَنْ يقولَ النَّاسُ : مُحمَّدٌ تَزوَّجَ امرأةَ زيدٍ الذي تَبَنَّاهُ .

وتزوَّج حفصةَ بنت عمر ؛ إكرامًا لعمر ، وتحقيقًا لرغبته في أن تكون ابنته في بيت النبوة ، وتُصبحَ من أُمَّهاتِ المؤمنين .

وتزوَّج صفيةَ ، وجُويرية ؛ مسحًا لدموعهما ، وإذهابًا لحزنهما لموت زوجيهما في معركة قتالٍ دارت بين رسول الله ﷺ ورجالهما .

وهكذا ما تزَّوجَ رسولُ الله ﷺ لغيرِ الله ، وبإذنِـهِ ورِضَـاهُ .

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد (١١٦/٨) ، والاستيعاب ، لابن عبد البر (٨٢/٢) ، وأسد الغابة (١٣٢٧/١) ، والإصابة (٥٦٥/٧)، روضة الأنوار في سيرة النبي المختار ، لصفي الرحمن المباركفوري (ص٢٧٦) .

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد (١٢٠/٨) ، والاستيعاب ، لابن عبد البر (١٠٥/٢)، وأسد الغابة (١٣٧٥/١) ، والإصابة (٧٣٨/٧) .

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد (١٣٢/٨) ، والاستيعاب ، لابن عبد البر (١٢٠/٢)، وأسد الغابة (١٤١٦/١) ، والإصابة (١٢٦/٨) .

المَبْحثُ الثَّاني : جوانبُ الأدبِ في تَعامُلِه مع زوجاتِه

المَطْلَبُ الأَوَّلُ : الرِّفقُ بالمرأةِ و استجلابُ مَودَّتِها

اعتبر النبي ﷺ الرفق زينةً للمرء في كل شيء ، كما في قوله : « **إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شيءٍ إِلاَّ شَانَهُ** » [١]. وبلا ريب فقد كان أرفق الناس ، ولم تعرف البشرية أرحم ، ولا ألين منه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وشمل رفقه القريب والبعيد ، والصديق والعدو ، والصغير والكبير ، والرجل والمرأة ، ولقد كان لسانه الحظ الوافر من ذلك .

*** الرِّفقُ في تعليمهنَّ :**

إذا كان المعلم رفيقًا فإنه يملك القلوب بالمحبة ، وعندئذ تتفتَّح له القلوب التي أحبته ، وتأثرت به وتفاعلت معه، وآتت دعوته وأعماله ثمراتها طيبة يانعة ، ولقد كان هذا منهجه حين يريد تعليم نسائه أمرًا ما ، ولقد ذبح ذات يوم شاة ، وأخذ يتصدَّق منها فسأل عائشة :« **كم بقي من الشاة ؟**»، فقالت وكأنَّها حزينة لقلة ما بقي منها : ما بقي إلا كتفها ، فأجابها في رفقٍ : « **بقي كلُّها غير كتفها**» .

والحديث في الترمذي عن عائشة : أنهم ذبحوا شاة ، فقال النبي ﷺ : « **ما بقي منها** ؟ »، قالت : ما بقي منها إلا كتفها ، قال : « **بقي كلها غير كتفها** »[٢]. وهذا من رحمته بها حيث ينقلها من عالم الأرض الضيق إلى عالم الآخرة . ومن الأمثلة على رفقه عند تعليم نسائه ما كان منه في حادثة الإفك ، حيث تقول عائشة رضي الله عنها : أنه جاءها فتشهَّد حين جلس ثم قال : « .....**أما بعد : يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ؛ فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه** »[٣] ؛ يريد بذلك أن يعلمها أن التوبة تجبُّ ما قبلها .

*** رفقه في تأديبهنَّ :**

والرفق في التأديب يُصلح النفوس ، ويُؤثِر فيها أثرًا حسنًا ويستعطفها إلى المطلوب منها أفضل استعطاف ، كما أن من شأنه أن يلين عريكتها ، وإن كانت صلبة جافة قاسية بخلاف العنف ، فإنه يولد لديها صلابة وإن كانت في الأصل لينة في فطرتها .

فعندما طلب نساء النبي ﷺ زيادة النفقة آلى منهنَّ شهرًا ، حتى أُنزلت آية التَّخيير ، وفيها الأمر من الله لنبيه بأن يُخيِّر زوجاته بين البقاء تحت رسول الله مع الرضا أو أن يخترن الحياة الدنيا فيُطلقهنَّ رسول الله ﷺ ، والتخيير آخر أساليب التأديب التي استخدمها في هذه الحادثة ، وطريقة عرضه لنسائه التخيير تتجلى فيها رقَّة القلب ورحمته ورفقه ، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :" لمَّا أُمر رسول الله ﷺ أن يُخيِّرَ أزواجه فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال :« **إنِّي ذاكرٌ لك أمرًا فلا عليك أن لا تستعجلي حتَّى تستأمري أبويك** » ، وقد علم أنَّ أبويَّ لم يكونا يأمراني بفُراقه ، قالت : ثم قال :« **إنَّ الله تعالى قال**: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا [٤]» فقلت له : ففي أيِّ هذا أستأمر أبويَّ ؟! فإنِّي أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلتُ " [٥].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب: الرفق (٤/٢٠٠٤) رقم (٧٨ . ٢٥٩٤).

(٢) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب : ٣٣ (٤/٦٤٤/ح:٢٤٧٠) وقال : هذا حديث صحيح .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة النور (٦/٣٠٤/ح:٤٧٥) .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية (٢٨) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب : سورة الأحزاب (٥/٣٢٢/ح:٤٧٨٦).

*** رفقه بـهنّ في فترات مرضهنّ :**

الإنسان بطبيعته البشرية يحبُّ مَنْ يترفَّق به: فلقد بعث الله نبيه موسى عليه السلام إلى أعصى أهل الأرض فرعون، وأمره أن يقول له قولاً ليِّنًا، قال تعالى اذهبا الي فرعون انه طغي فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشي([١].

فإنْ كانت هذه طبيعة الإنسان في أحواله العادية ، فإنه يكون في حاجةٍ أشدَّ إلى لين القول في فترات المرض ولحظات الضَّعف ، وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ مع زوجاته ، فإنَّه رفيقٌ بهنَّ أشدَّ الرفق ، تقول أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في معرض حديثها عن حادثة الإفك : .... ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أنِّي لا أعرف من رسول الله ﷺ اللُّطف الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي ، إنما كان يدخل رسول الله ﷺ فيُسلِّمُ، ثم يقول : « **كيف تيكم** ؟ » ثم ينصرف[٢] .

فتأمَّلْ رفقه بها في هذا الوقت ، والناس يخوضون في حديث أصحاب الإفك ، ومع ذلك رسول الله ﷺ يزور زوجته المريضة ، ويسأل عنها ، كيف تيكم .

*** رفقه بـهنّ في السَّفرِ :**

إنَّ عظم خُلقه ﷺ لا يتغيَّر حضرًا ولا سفرًا بل يزيدها الشدائد إلا رسوخًا وعظمة ، ولقد سمع مرة أنجشة[٣] يحدو بالإبل وعليها بعض أمهات المؤمنين ، حتى أسرعت الإبل ، فقال له رسول الله : « **ويحك يا أنجشة ، رويدك سوقًا بالقوارير** » [٤]

قال الخطابي : كان أنجشة أسود ، وكان في سوقه عنفٌ ، فأمره أن يرفق بالمطايا .... وبه جزم **ابن بطال** فقال: القوارير كناية عن النساء اللاتي كُنَّ على الإبل ؛ حتى تُسرع ، فإذا أسرعت لم يُؤمنْ على النساء السُّقوط . وقيل : كان حسن الصوت بالحداء ، فكره أن تسمع النساء الحداء ، فإنَّ حُسنَ الصوت يُحرِّك من النفوس ، فشبَّه ضعف عزائمهنَّ وسرعة تأثير الصوت فيهنَّ بالقوارير في سرعة الكسر إليها. وجوَّز **القرطبي** الأمرين فقال : شبههنَّ بالقوارير لسرعة تأثرهُنَّ وعدم تجلدهُنَّ ، فخاف عليهن من حثِّ السير بسرعة السقوط أو التألم ، من كثرة الحركة والاضطراب الناشئ عن السرعة ، أو خاف عليهن الفتنة من سماع النشيد [٥].

وعن صفية بن حيي زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ : حج بنسائه حتى إذا كان ببعض الطريق نزل رجل فساق بهن ؛ يعني النساء ، فقال رسول الله ﷺ : « **كذاك سوقك بالقوارير** » ؛ يعني : النساء ، فبينا هم يسيرون برك بصفية جملها ، وكانت من أحسنهن ظهرًا فبكت ، فجاء رسول الله ﷺ حين أُخبر بذلك ، فجعل يمسح دموعها بيده ، وجعلت تزداد بكاء ، وهو ينهاها ، فلمَّا أكثرت زجرها وانتهرها ، وأمر الناس فنزلوا ، ولم يكن يريد أن ينزل .... الحديث » [٦].

فهذا النبي ﷺ من رفقه بنسائه ، ومراعاته لضعفهن ورقتهن يأمر الحادي بالتروي ، والرفق بسوقه للإبل لأجلهن، ثم ها هو ذا يواسي صفية حين برك جملها بل ويكفكف أدمعها بيديه الكريمتين تطيبًا لخاطرها ، بل ويأمر الراكب لينزلوا لأجلها .

---

(١) سورة طه ، الآيتان (٤٣. ٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : [illegible] (٣٠٣/٦/ح:٧٥٠).

(٣) أنجشة الأسود الحادي ، كان حسن الصوت بالحداء ، وكان حادي النبي ﷺ . ينظر : الإصابة (١١٩/١) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب : ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه (١٤١/٧/ح:٦١٤٩) .

(٥) ينظر : هذه الأقوال جميعها في فتح الباري (٣٤٢/١٧) .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٣٨/٦/ح:٢٦٩٠٨) .

المَطلبُ الثَّانـي : مُراعاةُ المشاعرِ

عن أنس بن مالك ﷺ قال : أنَّ جارًا لرسول الله ﷺ فارسيًّا ، كان طيِّبَ المرق ، فصنعَ لرسول الله ﷺ مرقًا ، ثم جاء يدعوهُ . فقال الرسول ﷺ : « **وهذه** ؟ » ؛ يعني : عائشةَ . فقال الفارسي : لا . فقال رسول الله ﷺ : « **لا** » .... ثم عاد يدعوه الثالثة ، فقال ﷺ : « **وهذه** ؟ » قال : نعم ، فقاما يتدافعانِ حتى أتيا منزلهُ [(١)].

قال **الإمام مالك** : قبيح بالرجل أن يذهب يأكل الطيبات ، ويترك أهله . وعن أنس ﷺ قال : ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط إن اشتهاه أكله، وإلا تركه[(٢)]. فكان من طيب معشره عليه الصلاة والسلام ألا يستأثر على زوجته بفضل طعام أوغيره .. ثم هو من الأدب ألا يعيب طعامًا شكرًا الله على ما أنعم ، وإكرامًا لمن صنع الطعام .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنتُ أشرب وأنا حائض ، ثم أناوله النبي ﷺ ، فيضع فاه على موضع فيّ. فيشرب وأتعرق العَرْق[(٣)] وأنا حائض ، ثم أناوله النبي ﷺ ، فيضع فاه على موضع فيَّ "[(٤)] . ولقد دَخَلَ ﷺ يومًا على صفية بنت حيي . رضي الله عنها . وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ : « **مَا يُبْكِيكِ ؟** » فَقَالَتْ : قَالَتْ لِي حَفْصَةُ : إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **إِنَّكِ لابْنَةُ نَبِيٍّ ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ ؟!**»، ثُمَّ قَالَ:« **اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ**»[(٥)].

فمواساة رسول الله ﷺ لصفية تظهر واضحة في قوله لها:«**إنك ابنة نبي، وإن عمك نبي، وإنك لتحت نبي** »، هذه النقلة الحكيمة الرحيمة التي رفعتها من كونها ابنة يهودي إلى قرابتها بثلاثة أنبياء .

وكان رسول الله ﷺ يعرف مشاعر المرأة وأحاسيسها ، فقد كان يقول لعائشة : « **إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً ، وَإِذَا كُنْتِ عني غَضْبَى ، أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً ، فَحَلَفْتِ فإنكِ تقولين : لا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عني غَضْبَى ، فَحَلَفْتِ ، قُلْتِ: لا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ** »[(٦)] .

ومن مراعاته للمرأة أنه لا يتأفف من ظروفها ، تقول عَائِشَةَ رضي الله عنها : كُنْتُ أُرَجِّلُ رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . يعني : أسرح شعره . وَأَنَا حَائِضٌ [(٧)]. بل وأكثر من ذلك ، كان يتكئ وينام على حجرها، تقول عَائِشَةَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَّكِئُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ [(٨)] .

*** ومن صور مُراعاته لمشاعر المرأة أنَّه يُواسيها ويمسح دموعها :**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأشربة ، باب : ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام (١١٦/٦/ح:٥٤٣٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب : صفة النبي ﷺ (٩١/٩/ح:٣٥٦٣) .

(٣) العَرْق : بالسكون : العَظْم إذا أُخذ عنه مُعْظَم اللَّحم وجمعُه : عُرَاق . ينظر : النهاية في غريب االحديث (٤٤٥/٣).

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الحيض ، باب : جواز غسل الحائض (٢٤٥/١/ح:٣٠٠) .

(٥) رواه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب : فضل أزواج النبي ﷺ (٧٠٩/٥/ح:٣٨٩٤) قال أبو عيسى :" هذا حديث صحيح غريب" ، وأحمد في مسنده (١٣٥/٣) .

(٦) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب : غيرة النساء ووجدهن (٢٠٠٤/٥/ح:٤٩٣٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل، باب : فضل عائشة (١٨٩٠/٤/ح:٢٤٣٩) .

(٧) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الحيض ،باب : غسل الحائض رأس زوجها وترجيله (٢٢١٥/٥/ح:٥٥٨١).

(٨) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الحيض ، باب : قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض (٣٠٧/١/ح:٢٩٧) .

كانت صفية مع رسول الله ﷺ في سفر وكان ذلك يومها ، فأبطأت في المسير، فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي و وتقول حملتني على بعير بطيء ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح بيديه عينيها ويسكتها [١].

وعَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ زَوْجِ النَّبِيِ ﷺ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَاشِرَ نِسَاءَهُ فَوْقَ الإِزَارِ وَهُنَّ حُيَّضٌ[٢].

ومن مُراعاتها للمشاعر اختياره أحبَّ الأسماء لها . عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كُلُّ نِسَائِكَ لَهَا كُنْيَةٌ غَيْرِي ، فكناها « **أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ** »[٣] بابن أختها عبد الله بن الزبير .

ومن مُراعاته للمشاعر عدم انتقاصه لها أثناء الأزمات ، عن عائشة رضي الله عنها تحكي عن حادثة الإفك قالت : إلا أَنَّي قد أَنكرت من رسول الله ﷺ بعضَ لطفه بي، فلم يفعل ذلك بي، في شكوايَ تلك، فقد أَنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليَّ وعندي أُمي تُمرَضُني قال : « **كيف تيكم؟** » لا يزيد على ذلك . [٤]

ومن مظاهر مراعاته للمشاعر أن عائشة رضي الله عنها حين قصدت الحج والعمرة ، فأصابها الحيض، فحزنت لعدم تمكنها من أداء العمرة ، وبكت لذلك ، وقالت : " يرجع الناس بحجة وعمرة، وأرجع بحجة؟!! " يقول جابر بن عبد الله : " وكان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً ، حتى إذا هَوِيَتْ الشيء تابعها عليه ، فأرسلها مع عبد الرحمن بن أبي بكر فأهلّت بعمرة من التنعيم ..." [٥].

المَطْلَبُ الثَّالِثُ : التَّبسُّطُ مع الأَهل وخدمتهم

يقول أنس ﷺ: قدم النبي ﷺ خَيْبَرَ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ، ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ بْنِ أَخْطَبَ ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا ، وَكَانَتْ عَرُوسًا فاصطفاها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الروحاء ، حَلَّتْ فَبَنَى بِهَا ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِى نِطَعٍ صَغِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **آذِن مَنْ حَوْلَكَ** ». فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَفِيَّةَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ قال : فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّى لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ [٦].

فهذا قائد الجيش عليه الصلاة والسلام يقف بنفسه متبسطًا مع أهله رافقًا بهم ، فتضع رجلها على ركبته الشريفة تسهيلاً لركوبها ، بمرأى ومشهد من أصحابه ، فلم تمنعه مكانته ، ولا مركزه ، ولا إمامته أن يخدم أهله ، ويعتني بهم تواضعًا ورحمة من نفسه الكريمة .

ولنتناول فن من فنون إدارة الحياة الزوجية ، ومظهر من مظاهر الخيرية عنده ﷺ ؛ وهو الجلوس مع الزوجة ، والحديث معها ، وسماعه الطرف والأخبار الاجتماعية منهن ، ويدل على ذلك ما جاء عن عائشة في حديث طويل " **حديث أم زرع** " قالت : اجتمع إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن ينعتن أزواجهن ويصدقن ... ، وفيه : قالت أم زرع : زوجي أبو زرع وما أبو زرع ؟! أناس من حلي أذني ، وملأ من شحم عضدي ، وبجح نفسي فبجحت إليه ... " ، قالت عائشة : فقال لي رسول الله ﷺ : « **كنت لك كأبي زرع لأم زرع** »[٧].

(١) روا النسائي في سننه الكبرى (٥/٣٦٩/ح:٩١٦٢) .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحيض ، باب : مباشرة الحائض فوق الإزار (١/١٦٧/ح:٧٠٧) .
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٦/١٠٧/ح:٢٤٨٠٠) .
(٤) تقدم تخريجه .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الحج ، باب : ١٧ ح(١٣٧) .
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب البيوع ، باب : هل يسافر بالجارية (٣/٥٩/ح:٢٢٣٥) .
(٧) ينظر : فتح الباري (٩/٢٧٥) .

وفي رواية : « **إلا أنَّه طلَّقها وإنِّي لا أطلِّقك** ». قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ، بل أنت خيرٌ من أبي زرع لأم زرع (١).

قال **ابن حجر** :" وكأنه قال تطييبا لها ، وطمأنينة لقلبها ، ودفعًا لإيهام عموم التشبيه بجملة أحوال أبي زرع ، إذ لم يكن فيه ما تذمه النساء سوى ذلك . وفيه : حسن عشرة المرء أهله بالتأنيس والمحادثة بالأمور المُباحة ، وبسط النفس به ومداعبة الرجل أهله وإعلامه بمحبته لها " (٢). ومن مبادئ الإسلام السامية أنه اعتبر النساء شقائق الرجال، ومن هذا المنطلق قامت عائشة تصف أحوال النبي ﷺ في بيته ، بأنه كان يعمل بيده ، كما يعمل أحدكم في بيته ، يخدم أهله، ويخيط ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه ، كما كان دائم البِشر، سهل الخُلق، لين الجانب، يتغافل عمَّا لا يتشهي ، ولا يتكلم في غير حاجة .

أخرج ابن حبان في صحيحه (٣)، أن رَجُلا سأل عَائِشَةَ رضي الله عنها : هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا ؟ ، قَالَتْ : نَعَمْ . كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ . وسئلت أيضًا رضي الله عنها، كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته ، فقالت : كان ألين الناس ، وأكرم الناس ، وكان رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحاكا بسَّامًا (٤) . وفي رواية أخرى : ما كان النبي ﷺ يصنَع في بيته ؟ قالت : يكون في مهنة أهله (٥) . وفي رواية : كان بشرًا من البشر يخيط ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه(٦) .

وعَنْ الأَسْوَدِ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلاةُ يتوضأ ويخَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ (٧).

فبأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام ، لو أراد الدنيا لأتته وهي راغمة ، ولو طلب خدمة أحد لتدافعوا إليه ... إلا أنه يأبى خلقه الكريم إلا أن يشارك أهله لطفًا بهم وتوددًا إليهم ، وهو مع كثرة مشاغله وهمومه وعظم مسؤولياته كان ألين الناس بل وأكثرهم تبسمًا .

المَطْلَبُ الرَّابِعُ : التَّرويحُ عن الأَهلِ

قد يتخيَّل الكثيرون الرسول ﷺ جادًا وصارمًا في كل أحواله حتى مع زوجاته ، ممَّا يخطر على بالهم الإشفاق عليهن ، ولكن كل هذا غير وارد رغم انشغاله بمهام الرسالة ، وأعباء القيادة وهداية الناس ؛ إلا أنه كان عليه الصلاة والسلام من أرق الناس مع أهله ، دائم البِشر ، يداعب أهله ويضاحكهم .

فكان رسول الله ﷺ يقوم ببعض أوجه النشاط ، والترويح مع بعض نسائه ؛ كيلا تكون الحياة الزوجية مملة فتصبح كالقيد ، فعَنْ عَائِشَةَ رضي اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النبي ﷺ في سَفَرٍ قَالَتْ : فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فسبقني فَقَالَ « **هَذِهِ بِتِلْكَ** » (٨).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب : حسن المعاشرة مع الأهل (١٩٨٨/٥/ح:٤٨٩٣) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ٩٢ : ذكر حديث أم زرع (١٨٩٦/٤/ح:٢٤٤٨) .

(٢) فتح الباري (٢٧٥/٩.٢٧٦) .

(٣) (٣٥١/١٤/ح:٦٤٤٠)

(٤) أخرجه إسحاق بن راهوية في مسنده (١٠٠٨/٣/ح: ١٧٥٠) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجماعة ، باب :من كان في حاجة أهله (٢٣٩/١/ح:٦٤٤) .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٥٦/٦/ح:٢٦٢٣٧) .

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجماعة ، باب : من كان في حاجة أهله (٢٣٩/١/ح:٦٤٤) .

(٨) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب : في السبق على الرجل (٢٩/٣/ح:٢٥٧٨) وإسناده حسن .

ومن ذلك تقديره ﷺ لصغر سن عائشة وحاجتها للَّعب ، تقول أم المؤمنين عَائِشَةُ :" كَانَ الْحَبَشُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ فَسَتَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنَا أَنْظُرُ ، فَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى كُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ، فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ تَسْمَعُ اللَّهْوِ " [١]. وفي رواية أخرى : عن عائشة تقول : دخل الحبشة المسجد يلعبون ، فقال لي : « **يا حميراء ، أتُحبين أن تنظري إليهم** ؟ » فقلت : نعم . فقام بالباب ، وجئته فوضعت ذقني على عاتقه ، فأسندت وجهي إلى خده ، قالت: ومن قولهم يومئذٍ : أبا القاسم طيِّبًا ، فقال رسول الله ﷺ : « **حسبك** » فقلت : يا رسول الله ، لا تعجل ، فقام لي ثم قال : « **حسبك** » ، فقلت: لا تعجل يا رسول الله . قالت : ومالي حب النظر إليهم ، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ، ومكاني منه" . [٢]

وفي هذا الحديث بيانُ ما كان عليه ﷺ من الرأفة والرحمة واللُّطف مع زوجته وترويح عليها بما هو مباح ؛ ليحصل لها به بسط النفس وترويح البدن ، والنزول عند رغبتها حتى الشبع ، وكذلك ترخيم اسمها أو ندائها بوصف تحبه دلالة على تقربه وتودده إليها .

وزيادة على تقديره ﷺ حاجتها للَّعب يُعينها عليه ، بل كان أيضا يُسرِّب لها صويحباتها يلعبن معها، قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النبي ﷺ وَكَانَ لي صواحب يلعبن معي ، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يَنْقَمِعْنَ مِنْه فيُسرِّبهنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعي[٣].

وفي رواية أخرى قال : " قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أو خيبر ، وَفِى سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ ، فَقَالَ :« **مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟** ».

قَالَتْ : بَنَاتِى ، وَرَأَى بَيْنَهن فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رُقَاعٍ فقَالَ :« **فَمَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطهنَّ؟** ». قَالَتْ : فَرَسٌ. قَالَ :« **مَا هَذَا الَّذِى عَلَيْهِ؟** ». قَالَتْ : جَنَاحَانِ. قَالَ :« **فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟!** ». قَالَتْ : أَو مَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلاً لَهُ أَجْنِحَةٌ ، قَالَتْ : فَضَحِكَ حَتَّى رأيتُ نَوَاجِذُهُ [٤].

ورسول الله ﷺ مُنزَّهٌ عن اللعب واللهو ، ولكن ترفعه عنه ، وعدم التفاته إليه ، لم يُسوِّغ له حرمان عائشة منه ، تقول رضي الله عنها : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تُغنيان بغناء بُعاث ، فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه ، ودخل أبو بكر ﷺ فانتهرني ، وقال : مزمارة الشيطان عند رسول الله ﷺ ؟! فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : « **دعهما** » ، فلمَّا غفل غمزتهما فخرجتا ، وقالت : كان يوم عيد يلعب السودان بالدَّرق والحِراب ، فإمَّا سألت رسول الله ﷺ ، وإمَّا قال:«تشتهين تنظرين»، فقلت : نعم . قالت : فأقامني وراءه خدِّي على خدِّه وهو يقول : « **دونكم يا بني أرفدة** » حتى إذا مللت قال: « **حسبك** » قلت : نعم قال : « **فاذهبي** » [٥].

وأبو بكر الصديق ﷺ يزجر ابنته لمَّا ظنَّ أنَّ رسول الله ﷺ نائم ، فحسب أنها فعلت ذلك دون علمه ، وبادر إلى الإنكار لما تقرر عنده منع الغناء ، فأوضح النبي ﷺ له الحال، وعرفه الحكم مقرونا ببيان الحكمة بأنه يوم عيد .

ومن ذلك أيضًا إقراره ﷺ لمزاح زوجاته بعضهن مع بعض ، فكان عليه الصلاة والسلام يمازحهن وينبسط لهن على الطعام ، قالت عائشة: " زارتنا سودة يوما فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها إحدى رجليه في حجري ، والأخرى في حجرها ، فعملت لها حريرة ، فقلت : كلي ، فأبت . فقلت : لتأكلي أو لألطخن وجهك ، فأبت ، فأخذت من القصعة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب : حسن العشرة (٤٧٦/٦/ح:٥١٩٠) .

(٢) رواه النسائي في عشرة النساء (ص٩٨) رقم (٦٥) ، وصححه الحافظ في الفتح (٤٤٤/٢) وقال : ولم أرَ في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا ، وأصل الحديث في الصحيحين .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب : الانبساط إلى الناس (١٣٣/٧/ح:٦١٣٠) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب : اللعب بالبنات (٤٣٨/٤/ح:٤٩٣٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العيدين ، باب : الحراب والدّرق يوم العيد (٢٨٧/٢/ح:٩٤٩).

شيئًا فلطخت به وجهها ، فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها ، تستقيد مني ، فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهي ، ورسول الله ﷺ يضحك ، فإذا عمر يقول: يا عبد الله بن عمر يا عبد الله بن عمر ، فقال لنا رسول الله ﷺ : « **قوما فاغسلا وجوهكما فلا أحسب عمر إلا داخلاً** » (١).

فتأمل سعة قلبه ، وجميل لطفه ، وطيب أُنسه ؛ عليه أفضل الصلاة والسلام .

المطلبُ الخامسُ : مُسامرته لزوجاته باللَّيل

على الرَّغم من كثرة اشتغاله ﷺ وعظم مسؤلياته إلا أنه لا ينسى أن يُسامر زوجاته ، ويقصَّ عليهن، ويحدثهن بما يستروحنه من عناء اليوم . فعَنْ عَائِشَةَ . رضي الله عنها . قَالَتْ : حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَدِيثًا . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَ الْحَدِيثُ حَدِيثَ خُرَافَةَ، فَقَالَ : « **أَتَدْرُونَ مَا خُرَافَةُ ؟ إِنَّ خُرَافَةَ كَانَ رَجُلا مِنْ عُذْرَةَ أَسَرَتْهُ الْجِنُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَمَكَثَ فِيهِنَّ دَهْرًا طَوِيلا ، ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى الإِنْسِ ، فَكَانَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا رَأَى فِيهِمْ مِنْ الأَعَاجِيبِ ، فَقَالَ النَّاسُ : حَدِيثُ خُرَافَةَ** » (٢).

قال **ابن الجوزي** : ومن هذا الفن حديث أم زرع(٣). قال **ابن حجر** : لم تدرِ المرأة ما يُراد من هذا اللفظ ، وهو الكناية عن ذلك الحديث ، بأنَّه كذب مُستملح ؛ لأنَّها تعلم أنَّه لا يجري على لسانه إلا الحقُّ ، وإنَّما أرادت أنه حديث مُستملح لا غير.(٤)

ومن مُسامراته لزوجاته أنه ﷺ يتنزَّه معها ، ويصطحبها ليلاً ، كما جاء في صحيح البخاري :" .... كان النبيُّ ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدَّثُ " (٥).

المطلبُ السَّادسُ : الاسْتِشَارَةُ وتقديرُ الرَّأي

لم يكن عليه الصلاة والسلام مُتعسفًا معتزًا برأيه ، مستغنيًا عن آراء مَنْ حوله ، فمع كونه نبي مُرسل ، ويأتيه الوحيُ من فوق سبع سموات إلا أنَّه يظلُّ بشرًا يحتاج إلى المشورة والرأي ، وحينما تقع منه الاستشارة ؛ فإنه لا يقف عند أكابر أصحابه وحكماءهم ، بل هو يستشير زوجاته ، ويعمل برأيهنَّ ، رغم أنَّ بعض الناس ينظر لرأي المرأة نظرة احتقار ، ويستدل بقول رسول الله ﷺ في النساء ؛ بأنَّهنَّ ناقصاتُ عقلٍ ودينٍ ، ويغفل عن تتمة الحديث الذي يُفسر نُقصان العقل ؛ بأنَّ شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين ، ثم إنَّ هؤلاء الذين لا يعتبرون برأي المرأة يجهلون هديهُ ﷺ، فقد كان يتحدَّث مع زوجاته ، ويُشاورهنَّ ويُشركهنَّ فيما يسرُّه ويُحزنه ، ومن آكد الأمثلة على ذلك ما كان منه أول ما بدأ الوحي ، حيث كانت زوجته خديجة . رضي الله عنها . أول مَنْ لجأ إليها ويُشركها في أمره ، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ . وَهُوَ التَّعَبُّدُ . اللَّيَالِي ذوات الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ ينزع إِلَى أَهْلِهِ ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ بِمِثْلِهَا حَتَّى جاءه الْحَقُّ ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى ، باب : عشرة النساء (٢٩١/٥/ح:٨٩١٧).

(٢) الحديث رواه أحمد في مسنده (١٥٧/٦/ح:٢٥٢٨٣) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٨٠١/٣) ، وأبو يعلي في مسنده (٤١٩/٧) .

(٣) الوفا بأحوال المصطفى (٣٢١/٢) .

(٤) فتح الباري (٣١٢/١٠) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب : القرعة بين النساء إذا أراد سفرًا (١٩٩٩/٥/ح:٤٩١٩) ومسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : في فضل عائشة (١٨٩٤/٤/ح:٢٤٤٥) .

فَقَالَ : اقْرَأْ . فَقَالَ :« **مَا أَنَا بِقَارِئٍ** ». **قَالَ** :« **فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّى الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ** : **اقْرَأْ . فَقُلْتُ** : **مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ** اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (١) ».

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يرْجُفُ فؤاده، فدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بنت خويلد . رَضِي اللَّهُ عَنْهَا . فَقَالَ :« **زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي** ». فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فقَالَ لِخَدِيجَةَ ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ قَالَ :« **لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي** ». قَالَتْ خَدِيجَةُ : كَلاَّ وَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ... الخ (٢) .

فتأمل لجوءه لزوجته خديجة أولاً ، ثم قبوله مشورتها بالذهاب إلى ابن عمها ثانيًا ، ولا شكَّ أن هذا من دلائل إكرامه لها ، وعظيم منزلتها عنده . رضي الله عنها . .

ومثال آخر يوم صلح الحديبية ، وقد اغتمَّ المسلمون حين صُدُّوا عن البيت ، وصالح رسول الله ﷺ قريشًا ، على أن لا يطوف بالبيت في ذلك العام ، بل في العام المقبل ، فَلَمَّا فَرَغَ ﷺ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ لأَصْحَابِهِ :« ... **قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا** ». قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : يَا نبي اللَّهِ ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ ، فَقَامَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ؛ نَحَرَ هَدْيَهُ ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ لِبَعْضٍ حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا (٣).

قال **الإمام ابن القيم** :" فيه دليل على جواز مشاورة النساء وقبول قولهن إن كنَّ مصيبات فيما يشرن إليه " (٤)، وقال الإمام السخاوي : صار دليلا على استشارة المرأة الفاضلة(٥) .

وهذا رسول الله ﷺ يُشاور زوجته في أمر من أمور الدولة ، ثم يقبل مشورتها وينفذها ، وهذا من تكريمه لها واحترامه لرأيها ، وإذا كان رسول الله يقبل رأي زوجاته في الأمور العظيمة ، فلا عجب أن نجده يقبل بآرائهن في الأمور اليسيرة ، فهذه عائشة . رضي الله عنها . تشير عليه بشراء ثياب إلى أجل ، فيجيبها لما دعته إليه ، تقول عَائِشَةَ . رضي الله عنها . : كَانَ عَلَى رَسُول ﷺ ثَوْبَانِ قِطْرِيَّانِ غَلِيظَانِ ، فَكَانَ إِذَا قَعَدَ فَعَرِقَ ثَقُلا عَلَيْهِ ، فَقَدِمَ بَزٌّ مِنْ الشَّامِ لِفُلانٍ الْيَهُودِيِّ، فَقُلْتُ : لَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ فَاشْتَرَيْتَ مِنْهُ ثَوْبَيْنِ إِلَى الْمَيْسَرَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ مَا يُرِيدُ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ بِمَالِي أَوْ بِدَرَاهِمِي ، فَقَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ : « **كَذَبَ ، قَدْ عَلِمَ أَنِّي مِنْ أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ وَآدَاهُمْ لِلأَمَانَةِ** » (٦) .

المَطْلَبُ السَّابعُ : الحِكمةُ في مُعالجةِ المشاكلِ الزَّوجيَّةِ

(١) سورة العلق ، الآيات (١.٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي ، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/٣/ح:٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط ، باب : الشروط في الجهاد (٣/٢٤٩/ح:٢٧٣٢) .

(٤) زاد المعاد (٢/٣٠٠) .

(٥) المقاصد الحسنة (ص٥٨٥) .

(٦) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب البيوع ، باب : ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل (٣/٥١٨/ح:١٢١٣) وإسناده صحيح .

قلَّ ما تخلو الحياة الزوجية من مشاكل ! وقلَّ من الرجال أيضًا من يتصف بالحكمة والحلم في تعامله مع هذه المشكلات . ومع كونه عليه الصلاة والسلام يتعامل مع تسع نسوة يقع منهن ما يقع من المشكلات ، إلا أنه يسيطر عليها بحسن تصرفه وحكمته و إضافة إلى تؤدته وترويه ﷺ .

أخرج **البخاري** عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ ، فَانْفَلَقَتْ فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ ، وَيَقُولُ : « **غَارَتْ أُمُّكُمْ** » ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ فيه(١).

لم يُعنِّف النبي ﷺ مَنْ كسرت الصحفة ، رغم حاجتهم إلى الطعام والآنية ؛ لقلة ما تجدونه ، إلا أنه عليه الصلاة والسلام علم السبب الداعي لهذا الفعل ، وهي الغيرة ، فأخذ يبرر الموقف لصحابته ثم يصلح ما وقع بيده ، فيجمع فلق الصحفة من غير لوم للفاعلة ، ولكن بتعويض لصاحبة الصحفة، فأية حكمة ، وأي عدل ، وأي لطف اتَّسم به النبي ﷺ في تعامله. وجاء في رواية التصريح بذكر اسم التي أرسلت الصحفة ، واسم التي كان النبي ﷺ في بيتها.

عَنْ **أُمِّ سَلَمَةَ** . رضي الله عنها . أنها أَتَتْ بِطَعَامٍ فِي صَحْفَةٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، فَجَاءَتْ عَائِشَةُ . رضي الله عنها . ومَعَهَا فِهْرٌ فَفَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةَ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ فِلْقَتَيْ الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ:« **كُلُوا** ، **غَارَتْ أُمُّكُمْ مَرَّتَيْنِ**» ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَحْفَةَ عَائِشَةَ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَأَعْطَى صَحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ عَائِشَةَ(٢).

فانظرْ لحُسن خلقه ﷺ وإنصافه وحلمه ، وانظر لحُسن تصرُّفه عليه الصلاة والسلام وحلِّه لهذا الموقف بطريقةٍ مُقنعةٍ ، مُعلِّلاً هذا الخطأ من عائشة رضي الله عنها بقوله :«**غَارَتْ أُمُّكُمْ**» ، فهو يُقدِّر نفسية عائشة زوجه ؛ اعتذارًا منه ﷺ لعائشة ، فهو لم يُحمِّلْ عائشة نتيجة هذا الخطأ ونتيجة هذا العمل ، ولم يلومها ﷺ بل قدَّر الموقف ، وتعامل معه بلُطفٍ وحكمةٍ ، ولم يُؤدِّبْ عائشة بل برَّر موقفها ؛ بأنَّها غارت .

وعَنِ **النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ** قَالَ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ : يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ وَتَنَاوَلَهَا أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟! قَالَ : فَحَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا . قَالَ : فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ . يَقُولُ لَهَا . يَتَرَضَّاهَا : « ... **أَلا تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ** ؟ » ، قَالَ : ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُهَا ، قَالَ : فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا ، كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا (٣).

يقول أحد العلماء :" واعلم أنه ليس حسن الخلق مع الزوجة كف الأذى عنها فقط ، بل احتمال الأذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها ؛ إقتداء برسول الله ﷺ . فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام ، وتهجره الواحدة منهن اليوم إلى الليل ، وراجعت امرأة عمر ﷺ فقال: أتراجعينني؟! فقالت: إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك" (٤).

وفي حديث طويل تنتدب نساء النبي ﷺ السيدة زينب رضي الله عنها لطلب مساواتهن بالسيدة عائشة رضي الله عنها؛ إذ كنَّ يشعرن أن لها في قلبه منزلة ليست لغيرها، وكنَّ يرين هدايا الناس تأتي أكثر ما تأتي حين يكون في بيت عائشة. واستطالت زينب على عائشة بالكلام ، وعائشة تنظر إلى رسول الله ﷺ . تقول:"حتى عرفت أن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب : الغيرة (٢٠٠٣/٥/ح:٤٩٢٧) .

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى ، كتاب عشرة النساء ، باب: الغيرة (٢٨٥/٥/ح:٨٩٠٤) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٤٢/٢٠/ح:١٨٣٩٤) .

(٤) ينظر : نساء حول الرسول ﷺ (ص١١٦) .

لا يكره أن أنتصر."[(١)]. وفي رواية : حتى قال النبي ﷺ :« **دونك فانتصري**» . فأقبلتُ عليها حتى رأيتها وقد يبس ريقها في فيها، ما تردُّ عليَّ شيئًا، فرأيت النبي ﷺ يتهلل وجهه"[(٢)].

اَلْمَطْلَبُ الثَّامِنُ : وَعْظُ الزَّوجةِ ومُناصحَتِهَا

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ بنت يَهُودِيٍّ ، فَبَكَتْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ **وَهِيَ تَبْكِي ، فَقَالَ** : « **مَا يُبكيكِ** ؟ » **فَقَالَتْ : قَالَتْ لِي حَفْصَةُ إِنِّي بنت يَهُودِيٍّ . فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ :« **إِنَّكِ ابْنَةُ نَبِيٍّ ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ** ؟» فَقَالَ:«**اتَّقِ اللَّهَ يَا حَفْصَةُ**»[(٣)].

لقد بيَّن النبي ﷺ ما فيها من فضائل وما لها من مكانة لا يتطرق إلى انتقاصها مثل ذلك الكلام؛ لأن تلك الفضائل مبنية على أعظم الأسس وأشرفها ، وهي الإيمان والتقوى المتصل ببيت النبوة ، ولم يتعرض لحفصة أمام صفية بالانتقاص بل وعظها بأعظم موعظة ، وهي « التقوى » .

وروى **أبو يعلي**[(٤)] بسند لا بأس به عن عائشة . رضي الله عنها . قالت : وكان متاعي فيه خف ، وكان على جمل ناج ، وكان متاع صفية فيه ثقل ، وكان على جمل ثقال، فقال رسول الله ﷺ:« **حوُّلوا متاع عائشة على جمل صفية ، وحوُّلوا متاع صفية على جمل عائشة ؛ حتَّى يمضي الركب** ». قلتُ : يا لعباد الله ! غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله ﷺ . قالت : فقال رسول الله ﷺ: « **يا أمَّ عبد الله ، إنَّ متاعك فيه خف ، وكان متاع صفية فيه ثقل ، فأبطأ بالركب ، فحولنا متاعها على بعيرك ، وحولنا متاعك على بعيرها** » ، قالت : فقلت : ألست تزعم إنك رسول الله ؟ أفهلا عدلت ؟ وسمعني أبو بكر وكان فيه غرب . أي حدة . فأقبل علي ، فلطم وجهي ، فقال رسول الله ﷺ : « **مهلا يا أبا بكر** » فقال : يا رسول الله ، أما سمعت ما قالت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **إنَّ الغيرى لا تُبصر أسفل الوادي من أعلاه** » .

لقد تميَّز النبي ﷺ بالحكمة في علاجه لمشاكل بيته ، وللإصلاح بين زوجاته ، فلمصلحة الركب تصرف النبي ﷺ هذا التصرف إلا أنه لم يرضَ لعائشة . رضي الله عنها . ، وطالبت النبي ﷺ بالعدل ، فتلطف معها بأرق العبارات ، وكناها بكنيتها المحببة " أم عبد الله " ، وأوضح لها السبب ، فلما زادت في عتابها قابلها بالابتسامة ، وذكَّرها بأنها أم المؤمنين " . وحينما تدخل أبو بكر ﷺ ، وقف في صفها وألتمس لها العذر أمام والدها، فلله دُرَّهُ من رجل أحسن إلى أزواجه كل الإحسان حتى كان أقرب إليهن من آباءهم.

ومن الأمثلة على وعظه لنسائه ما كان في حادثة الإفك ، حيث تقول عائشة . رضي الله عنها . أنه جاءها ﷺ فتشهَّد حين جلس ، ثم قال : « ..... **أمَّا بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا و فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه و فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه** ».[(٥)]
فهنا وعظٌ وتذكيرٌ بالله ﷻ ، وحث على الاستغفار والتوبة إلى الله ، فإن التوبة تجبُّ ما قبلها .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨٨/٦/ح:٢٤٦١٩) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٩٣/٦/ح:٢٤٦٦٤) . وللفائدة ينظر : التعامل المشروع للمرأة مع الرجل (ص٦٧ ، ٣٠٢) .

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ، باب: فضل أزواج النبي ﷺ (١٠٩/٥/ح:٣٨٩٤) ، وأحمد في مسنده (١٣٥/٣/ ح:١٢٤١٥) وصححه الألباني .

(٤) في مسنده (١٢٩/٨) ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٢٥/٩) سنده لا بأس به .

(٥) تقدم تخريجه .

ومن ذلك دعاؤه لزوجته في حال غضبها : في رواية كان النبي ﷺ : إذا غضبت زوجته وضع يده على كتفها، وقال:« **اللهم اغفر لها ذنبها، وأذهب غيظ قلبها ، وأعِذها من الفتن**»(١).

وكذلك وعظه لنسائه عندما نزلت آية التخيير ، حيث إنه بدأ بعائشة وقال لها :« **إنِّي ذاكر لك أمرًا ، فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك** .... » . خشية منه أن تختار زينة الحياة الدنيا لصغر سنها، فتخسر الخير الكثير في الدنيا والآخرة، لكنها كانت أحرص على خير نفسها من أبويها، فقالت للنبي ﷺ :" أفي هذا أستأمر أبويَّ ؟! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة " (٢) .

فكان ﷺ يعظ ، ويُوجِّه ، ويُخوِّف ، ويغضب ... بحسب مقام كل قضية كما هو معلوم ، ولا يخفى أمره ، وهذا ممَّا يدل على تكافؤ أخلاقه ﷺ وتوازنها حيث يضع كل أمر في نصابه ومحله اللائق الذي لا ينبغي غيره .

ومن ذلك قوله لإحدى زوجاته : « **لا تؤذيني في عائشة** »(٣) كما جاء في رواية عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ ، وَالْحِزْبُ الآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَائِشَةَ فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَّرَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ ، بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ ، فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا : كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهَا إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا ، فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ : مَا قَالَ لِي شَيْئًا ، فَقُلْنَ لَهَا : كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكِ ، فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ ، فَقَالَ لَهَا : « **لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ** » ، **فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلا عَائِشَةَ** » ، قَالَتْ : فقلتُ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

المَطْلَبُ التَّاسعُ : تَعَاهدُ الأَهلِ بالتَّعليمِ والتَّوجيهِ

لقد كان عليه الصلاة والسلام ناصحا لأزواجه ، ومُشفقًا عليهنَّ ، وحريصًا على تعليمهن ودلالتهن على الخير . وإن بيتًا هذا حاله لبيتٌ تُرفرف عليه السعادة الحقة ، والمودة الصادقة و إذ أن من أسباب السعادة الزوجية تعاون الزوجين على طاعة الله ﷻ .

عن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ يَهُودًا أَتَوْا النبي فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمُ الله ، وَغَضِبَ الله عَلَيْكُمْ، قَالَ:« **مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ**»، قَالَتْ:أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟! قَال:« **أَوَلَمْ تسمعي مَا قُلتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لي فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِي** »(٤).

* وعن ابن عباس ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ أم المؤمنين بِنْتِ الْحَارِثِ . رضي الله عنها . أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا ، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى ، وَهِيَ جَالِسَةٌ فَقَالَ : « **مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا** ؟» قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ** »(٥) .

---

(١)

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) حديث ضعيف ؛ رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣٦/٦٥) ، وراجع في سلسلة الأحاديث الضعيفه (٢٢١/٩) ح (٤٢٠٧) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب : لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا (٢٢٤٣/٥/ح:٥٦٨٣)، ومسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب : النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام (١٧٠٦/٤/ح:٢١٦٥) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب : التسبيح أول النهار وعند النوم (٢٠٩٠/٤/ح:٢٧٢٦).

وقد أرشد عائشة . رضي الله عنها . إذا رأت ليلة القدر أن تدعو فتقول: « **اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** » ، كما في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها حين قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ علمت أي ليلة لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أقول فيها؟ قَالَ:« **قولي : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»(١). وحديثها رضي الله عنها ، أَنَّ النبي ﷺ قَالَ :« **إِنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ يُؤَذِّن بِلَيْلٍ ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّن بِلَالٌ** » ، وكان بلال يؤذن حين يرى الفجر " (٢). وحديثها . رضي الله عنها . : أن رسول الله ﷺ قال:« **مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ** » (٣).

وحثه ﷺ لهن على فعل الخير ، وإتيان العمل الصالح . ومن الأحاديث الدالة على ذلك حديث علي ﷺ: أَنَّ النَّبِيُّ ﷺ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ " . وحديث أبي ذر ﷺ قال : « .... ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ بِنَا حَتَّى بَقِيَ ثَلاثٌ مِنْ الشَّهْرِ ، وَصَلَّى بِنَا فِي الثَّالِثَةِ وَدَعَا أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى تَخَوَّفْنَا الْفَلاحَ، قُلْتُ لَهُ : وَمَا الْفَلاحُ ؟ قَالَ: **السُّحُورُ** » (٤).

وأذنه ﷺ لزوجاته بالاعتكاف معه ، يدل على ذلك حديث عائشة . رضي الله عنها . :" أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ أَنْ يَعْتَكِفَ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ فَاسْتَأْذَنَته عَائِشَةُ ، فَأَذِنَ لَهَا ، وَسَأَلَتْ حَفْصَةُ عَائِشَةَ أَنْ تَسْتَأْذِنَ لَهَا فَفَعَلَتْ " (٥).

فكان نتيجة تعليمه لهن ساهمت في نشر علمه فقد نزل فيهن قوله تعالى" وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً "(٦) .

قال **ابن العربي** في هذه الآية: أمر الله أزواج رسول الله ﷺ بأن يخبرن بما أنزل من القرآن في بيوتهن، وما يَرَيْنَ من أفعال النبي ﷺ وأقواله فيهن حتى يبلِّغْن ذلك إلى الناس، فيعملوا بما فيه ويقتدوا به ، وكان أغزر أمهات المؤمنين علمًا عائشة . رضي الله عنها . فعن عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : ما أُشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ . حديثٌ قط . فسألنا عائشة رضي الله عنها إلا وجدنا عندها منه علماً (٧). وقد بلغ أحاديثها ألفين ومائتين وعشرة حديث ، وبلغت أحاديث أم سلمة ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثًا(٨) .

*****

المَطْلبُ العاشِرُ : العَدْلُ في القسمِ والنَّفقةِ

وعدل النبي ﷺ بين نسائه عدلٌ ناشىء عن الشعور بالمسؤولية ، ومن فِطرة الله تعالى له على الحق والعدل وبعثه بهما . فقد كان ﷺ كما قالت عائشة . رضي الله عنها . : " لا يفضِّل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا ، وكان قلَّ يوم يأتي إلا وهو يطوف علينا جميعًا ، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبغ إلى التي هو يومُها

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، باب: (٨٥)(٥/٥٣٤/ح:٣٥١٢) ، وابن ماجة في سننه ، كتاب الدعاء ، باب : الدعاء بالعفو والعافية (٢/١٢٦٥/ح:٣٨٥٠) ، وأحمد في مسنده (٦/١٧١/ح:٢٥٤٢٣) ،

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأذان ، باب : أذان الأعمى (١/٢٢٣/ح:٥٩٢) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الصيام ، باب : بيان أن لكل بلد رؤيتهم (٢/٧٦٨/ح:١٠٩٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الصوم ، باب : من مات وعليه صوم (٢/٦٩٠/ح:١٨٥١) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الصيام، باب : قضاء الصيام (٢/٨٠٣/ح:١١٤٧) .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب الصوم ، باب : قيام شهر رمضان (٣/١٦٩/ح:٨٠٦) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتكاف ، باب : من أراد أن يعتكف (٢/٧١٩/ح:١٩٤٠) .

(٦) سورة الأحزاب ، الآية (٣٤) .

(٧) أحكام القرآن (٣/٤٣٢) .

(٨) ينظر : التعامل المشروع للمرأة مع الرجل (ص١٩٦.٢٠٢) .

فيبيت عندها" [١]. وروى الشيخان عن أنس ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ : « **إذا أنصرف من صلاة العصر دخل على نسائه فيدنو منهن** »[٢] .

ولم يكن يتغيَّر حاله ﷺ في العدل تبعًا لتغير أحواله سفرًا ، وحضرًا، بل لقد كان يعدل في سفره كما يعدل في حضَره ، كما قالت عائشة . رضي الله عنها . : " كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه . قالت : وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها ، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ ، تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ [٣]. فلم يفاضل رسول الله ﷺ بين نسائه على الرغم من اختلاف أعمارهن ، وأطباعهن ، ومحبته لهن ، وإيفاء منه بحق الزوجة واتقاء الله فيهن .

وكان من عدله ﷺ بينهن أنه إذا تزوج ثيبًا أقام عندها ثلاثًا لا يناسبها ، ثم يقسم لها كسائر نسائه ، كما روت أم سلمة . رضي الله عنها . أن رسول الله ﷺ: أقام عندها ثلاثاً ، وقال لها : « **لَيْسَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ هَوَانٌ، إِنْ شِئْتِ سَبَّعْتُ لَكِ**؛ أي :أقمت عندك سبعًا ، **وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ لِنِسَائِي**» ، قالت : ثلِّثْ[٤].

ولقد بلغ به الحال في عدله ﷺ أنه لم يفرِّط فيه حتى في مرض موته، حيث كان يُطاف به عليهن في بيوتهن كل واحدة في نوبتها، قالت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–: " لما ثقل النبي ﷺ فاشتد وجعه ، استأذن أزواجه أن يمرَّض في بيتي ، فأذن له ... " [٥].

وفي رواية قالت:" إنَّ رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه : « **أين أنا غدًا ؟** » يريد يوم عائشة، قال : فأذن له أزواجه يكون حيث شاء ، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها ، قالت عائشة : فمات في اليوم الذي يدور عليَّ فيه في بيتي ، فقبضه الله ، وإنَّ رأسه لبين نحري وسَحْري، وخالط ريقه ريقي " [٦].

ومع ما كان عليه ﷺ من كمال العدل بين نسائه في كل ما يقدر عليه ممَّا هو فى يده ، فإنه مع ذلك كان يعتذر إلى الله تعالى فيما لا يقدر عليه ممَّا هو خارج عن نطاق التكليف، كما قالت السيدة عائشة – رضي الله عنها–: " كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول:« **اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**» "[٧]. وهو يعني بذلك القلب كما فسَّره به أبو داود ، وقيل: يعني الحب والمودة ، كما فسره الترمذي، والمعنى: أنَّ القسمة الحسِّية قد كان ﷺ يوفِّي بها على الوجه الأكمل لأنها بيده ، لكن القلب بيد الله ، وقد جعل فيه حب عائشة أكثر من غيرها، وذلك خارج عن قدرته وإرادته.

ومع ذلك فهو يضرع إلى الله أن لا يلومه على ما ليس بيده، مع أنَّ الأمر القلبي لا يجب العدل فيه ، وإنَّما العدل في المبيت والنَّفقة .

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب النكاح ، باب : في القسم بين النساء (٢/٢٤٢/ح:٢١٣٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحيل ، باب : ما يكره من احتيال المرأة (٦/٢٥٥٦/ح:٦٥٧١) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الطلاق ، باب : جوب الكفارة على من حرم امرأته (٢/١١٠١/ح:١٤٧٤) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة ، باب : هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوج (٢/٩١٦ /ح :٢٤٥٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب : قدر ما تستحقه البكر والثيب (٢/١٠٨٣/ح:١٤٦٠) ، وأبو داود في سننه ، كتاب النكاح ، باب : في المقام عند البكر (٢/٢٠٥/ح:٢١٢٤) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الوضوء ، باب الغسل والوضوء (١/٨٣/ح:١٩٢) ، وباب : حد المريض أن يشهد الجماعة (٢/٧٦/ح:٦٦٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب : النهي عن مبادرة الإمام (١/٣١٠/ح:٤١٨) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغاوي ، باب : مرض النبي ﷺ (٤/١٦١٧/ح:٤١٨٥) .

(٧) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب النكاح ، باب : في القسم بين النساء (٢/٢٤٢/ح:٢١٣٤) ، والترمذي في سننه ، كتاب النكاح ، باب : ما جاء في التسوية بين الضرائر (٣/٤٤٦/ح:١١٤٠) .

المَطلبُ الحادي عشر : رعايةُ حقِّ الزَّوجيَّةِ في الحياةِ وبعد المَماتِ

الوفاءُ بشكل عام فضيلةٌ من الفضائل العظيمة في الإسلام ، وقد جعله الله تعالى صفة للمؤمنين الأخيار الأبرار ، حيث قال جل شأنه الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (١).

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى والرائع في الوفاء حينما حفظ عهد زوجته خديجة ـ رضي الله عنها ـ في حياتها وبعد مماتها ، ولم يشغله عن ذكرها شاغل ، فكان يكثر الحديث عنها، والثناء عليها ، ويصل من كانت تصله في حياتها .

تروي أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنَّ عجوزًا جاءت إلى النبي ﷺ فقال لها :« **من أنتِ ؟** » فقالت: جثامة المزنية ، فقال :« **أنتِ حسَّانة : كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟**» قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فلمَّا خرجتْ قُلتُ : يا رسول الله ، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟! فقال :« **إنَّها كانت تأتينا زمن خديجة ، وإنَّ حُسنَ العهد من الإيمان** »(٢). وتقول عَائِشَةُ ـ رضي الله عنها ـ أيضًا: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ : كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلا خَدِيجَةُ ؟! فَيَقُولُ:« **إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**»(٣).

وفي رواية أخرى تقول : ما غرتُ على امرأةٍ قط ما غرتُ على خديجة ؛ من كثرة ذكر النبي ﷺ إيَّاها ، لقد ذكرها يومًا ، فَقُلْتُ : مَا تصنع بعجوزٍ حَمْرَاءَ الشِّدْقَيْنِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا ؟ قَالَ :« **والله مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا ، آمَنَتْ بِي حين كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي منها اللَّهُ الولد دون غيرها من النِّسَاءِ** »(٤).

فكل هذا الإعجاب العظيم من الرسول ﷺ بخديجة دليلٌ على نبل وفائه ، وسمو خلقه ، وتقديره للعقل الراجح ، والنفس النبيلة ، على الرغم من كِبر سنها ، فقد كانت في الأربعين وهو في الخامسة والعشرين فلم ينسه كل ذلك على الرغم من جمال عائشة ـ رضي الله عنها ـ وفقهها وحبها لها ، فيبقى وفيًا طوال حياته لخديجة ـ رضي الله عنها ـ ولم يتزوج عليها على الرغم من كِبر سنها حتَّى ماتت ، بل كان يُعلن حبه لها ويسعد بذلك ، ويقول ﷺ : « **إنِّي رُزقت حبَّها** »(٥).

فمن الذي كان محمد ﷺ يُصانعه وهو يفي لخديجة هذا الوفاء الجميل الذي يستحقُّ أن يكون مضرب الأمثال لسائر الأزواج : رجالاً ونساء ، أتراه كان يُصانع التي ماتت ليغضب التي يعيش معها ويحبها ؟ ما القول في هذا الوفاء المُعجز والدنيا حافلةٌ حولنا بأمثلة العُقوق ونسيان الفضل وخيانة العهد ؟؟

ومن الأمثلة لرعايته حقِّ الزوجة في حال الحياة : إظهاره لمحبتها ووفاءه لها ؛ كقوله لعائشة :« **كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ** » ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْتَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ (٦).

---

(١) سورة الرعد ، الآية (٢٠) .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب الإيمان (٦٢/١/ح:٤٠) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وليس له علة ، ووافقه الذهبي .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها (١٣٨٩/٣/ح:٣٦٠٧) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها (١٣٨٩/٣/ح:٣٦١٠) .

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : فضائل خديجة أم المؤمنين (١٨٨٨/٤/ح:٢٤٣٥) .

(٦) تقدم تخريجه .

وكذلك اختياره لأحسن الأسماء لها . كان ﷺ يقول لعائشة : « **يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلامَ** » [١].

كما أنه يُستفاد من هذا الحديث أنه ﷺ يبشرها ويُدخل السرور إلى قلبها ؛ بإخباره أنَّ جبريل يسلم عليها . وكذلك يمتدحها ويشكر فيها : كان رسول الله ﷺ يقول : « **فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ** »[٢] .

ومن رعايته للحياة الزوجية : أنه لا ينشر خصوصياتها : يقول ﷺ : « **إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يفضي إلى امرأته ، وتفضى إليه ، ثم ينشر سرها** » [٣].

وكان لا يضرب ولا يعنف ، قالت عائشة . رضي الله عنها . : ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة له قط[٤] . ومن رعايته للحياة الزوجية : الثقة بها ولا يخونها ، يدل ذلك أنه " نهى رسول الله ﷺ أن يطرق أهله ليلاً ، وأن يخونهم، أو يلتمس عثراتهم "[٥] .

وزيادة على ذلك احترامه لأهلها ، فعن عمرو بن العاص أنه أتى النبي ﷺ فقال : أيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يا رسول الله ؟ قَالَ :« **عَائِشَةُ** »، فَقُلْتُ : ومِنَ الرِّجَالِ ؟ قَالَ :« **أَبُوهَا** » [٦].

*****

الخَاتمةُ

تتضمَّنُ أهم النَّتائج وهي :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : فضل عائشة رضي الله عنها (٣/١٣٧٤/ح: ٣٥٥٧) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : فضل عائشة (١٤/١٨٩٦/ح:٢٤٤٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب : فضل قول الله تعالى (وضرب الله مثلاً) (٣/١٢٥٢/ح:٣٢٣٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب : الفضائل ، باب : فضل عائشة (٤/١٨٨٦/ح:٢٤٣١) .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب : تحريم إفشاء سر المرأة (٢/١٠٦٠/ح:١٤٣٧) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : مباعدته ﷺ للآثام (٤/١٨١٤/ح:٢٣٢٨) ، والإمام أحمد في مسنده ، باب : حديث السيدة عائشة رضي الله عنها (٦/٢٨١/ح:٢٦٤٤٨) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب : لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة (٥/٢٠٠٧/ح: ٤٩٤٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب : كراهة الطروق ليلاً (٣/١٥٢٨/ح:٧١٥) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الفضائل ، باب : قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذًا خليلاً » (٣/١٣٣٩/ح:٣٤٦٢) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : فضائل أبي بكر (٤/١٨٥٦/ح:٢٣٨٤) .

. أنَّ النبي ﷺ جعل من الضَّرائر التِّسع قدوة صالحة ، وأسوة لجميع النساء ، ومثلا بارزًا في البر والتقوى والعلم والحكمة .

. خصَّ الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ بخصائص ، منها : أنَّه أباح له الزواج بأكثر من أربع نساء ، لمقاصد شرعية ودعوية اختصت ببيانها بعض الكتب.

. اتَّصف نبينا محمد ﷺ بصفات ليست في كل الناس سواء كان هو من الناس ، وتضمَّنت حياته نماذج سامية اشتملت على أنبل دروس الإنسانية .

. أنَّ مكانة أمهات المؤمنين العالية الرفيعة لم تكنْ إلا بفضله ﷺ كزوج ، واستقر أمرهن على ذلك بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، وهن فوق هذا عشن في خير القرون، حملن لواء هذا الدين ونهضن به ، وسعين في تثبيت أركانه في الأرض ، وكان لهن فضل الصحبة ، وفضل النصرة والمتابعة ، وتربين في أحسن البيوت .

. النساء بما فُطرن عليه من الاعوجاج ، وحدة العاطفة ، يحتجن حتماً إلى تقويم وتربية وتأديب ، ولأجل هذا خوَّل الله تعالى الرجال هذه المسؤولية حيث قال: الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً [(١)]، والنبي ﷺ في عشرته مع أهله لم يستغنِ عن اتِّخاذ هذا الأسلوب ليكون أسوة لأمته في التربية والتأديب .

. استنباط الكثير من الجوانب التربوية التي نحتاجها في حياتنا اليومية من خلال ما يدور داخل البيت النبوي من مواقف ودروس وعبر .

. كان النبي ﷺ حريصًا على القيام بحقوق زوجاته المادية والمعنوية ؛ من نفقة ومسكن ، ومبيت ، ومأكل ، وملبس، ونحوه مما تحتاجه الزوجة .

. الارتباط الوثيق بين كتب السنة المطهرة ، وكتب السيرة النبوية .

. إنَّ المُدقِّقَ في مجال العلاقات الأُسرية لحياة الحبيب محمد ﷺ يجد أن هناك معاني كثيرة نحن بأمس الحاجة لها في واقعنا المعاصر ، ولو عملنا بها لساهمت في استقرار بيوتنا وتقوية علاقتنا الزوجية. وصدق الله العظيم إذ يقول "فتقبلها ربها بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب"[(٢)].

*****

(١) سورة النساء ، الآية (٣٤) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٣٧) .

فهرس المصادر والمراجع

*** أولاً : القرآن الكريم :**

*** ثانيًا : المطبوعات :**

١. أحكام القرآن لابن العربي، لابن العربي محمد بن عبد الله الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر القرطبي (ت /٤٦٣هـ) ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ ، دار الجيل ، بيروت .

٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ /١٩٩٨م . دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٤. الإصابة في تمييز الصحابة ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت / ٨٥٢هـ) دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، قدم له وقرَّظه الأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم البري ، الدكتور : عبد الفتاح أبو سنة ، الدكتور : جمعة طاهر النجار ، جامعة الأزهر ، الطبعة الأولى،١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٥- تاريخ دمشق لابن عساكر ، ط:١ ، ١٤١٩هـ دار الفكر – بيروت- لبنان .

٦. التعامل المشروع للمرأة مع الرجل الأجنبي في ضوء السنة ، نبيلة زيد سعد الحلبية ، ط٢ ، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م ، مكتبة الرشد . الرياض .

٧. **جامع الترمذي** ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي السلمي (ت/٢٧٩هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٨. دلائل النبوة ، للأصفهاني ، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي ، تحقيق: محمد الحداد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، دار طيبة ، الرياض .

٩- دلائل النبوة للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ،تحقيق :عامر صبري ، دار حراء – مكة المكرمة .

١٠. الرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المباركفوري ، ط: ١، المكتبة التدمريه – الرياض .

١١. روضة الأنوار في سيرة النبي المختار ، لصفي الرحمن المباركفوري ، ط:٤ ، ١٤٢٨هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الرياض .

١٢. زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم الجوزية ، حقق نصوصه ، وخرج أحاديثه ، وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط ، عبد القادر الأرنؤوط ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

١٣- سلسلة الأحاديث الضعيفه والموضوعة وأثرها السيئ في الأمه ، محمد بن ناصر الدين بن نوح الألباني ، ط : ١ ، ١٤١٢هـ ، دار المعارف – الرياض .

١٤. سنن ابن ماجة ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت/٢٧٥هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

١٥. السنن الكبرى ، تصنيف الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : د . عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٦. السنن الكبرى ، للبيهقي ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت/٤٥٨هـ)، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة .

١٧. صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت/٢٥٦هـ) ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، لبنان.

١٨. **سنن أبي داوود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .**

١٩. **صحيح مسلم** ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت/٢٦١هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٢٠. **الطبقات الكبرى** ، لابن سعد ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت .

٢١. **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت/٨٥٢هـ)، طبعة جديدة منقحة ومصححة عن الطبعة التي حقق أصلها ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها : عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان .

٢٢. **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر** ، للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور ، تحقيق : روحية النحاس ، ورياض عبد الحميد مراد ، ومحمد مطيع الحافظ ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ، ، دار الفكر ، دمشق .

٢٣. **المستدرك على الصحيحين** ، لأبي عبد الله ، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان .

٢٤. **مسند أبي يعلي** ، لأبي يعلي أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي (ت/٣٠٧هـ) ، تحقيق: حسين سليم أسد ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، دار المأمون للتراث ، دمشق .

٢٥. **مسند أحمد**، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت/٢٤١هـ) ، مؤسسة قرطبة ، مصر.

٢٦. **مسند إسحاق بن راهويه**، لإسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي (ت ٢٨٨هـ)، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة .

٢٧. **المقاصد الحسنة** في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي، شمس الدين محمد، ٢٠٠٦م.

٢٨. **نساء حول الرسول** ، لمحمد برهان ، كتاب إلكتروني على شبكة المعلومات الدولية .

٢٩. **نهاية الأرب في فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م ، دار الكتب العلمية –، بيروت ، لبنان –.**

٣٠. **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، تأليف الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الأجزري ت/٦٠٦هـ ، خرَّج أحاديثه : أبو عبد الرحمة صلاح بن محمد بن عويضة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ، دار الكتاب العلمية ، بيروت .

٣١. **هدي الرسول ﷺ في تعامله مع زوجاته**، لعفاف الثمري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

٣٢. **هذه أخلاقنا إن كنا مؤمنين حقًا**، محمود محمد الخزندار، ط ٧، ١٤٢٣هـ، دار طيبة، الرياض.

٣٣. **الوفاء بأحوال المصطفى** ، لعبد الرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، تحقيق : محمد زهري النجار ، الطبعة الأولى ، (١٣٩٦هـ) .

*****

فِهْرِسُ اَلْمَوْضُوعاتِ

تمَّ بعون الله وتوفيقــــه ،،،